موسوعة

الإمام علي عليه السلام

الجزء السادس

قسم الحروب والفتن

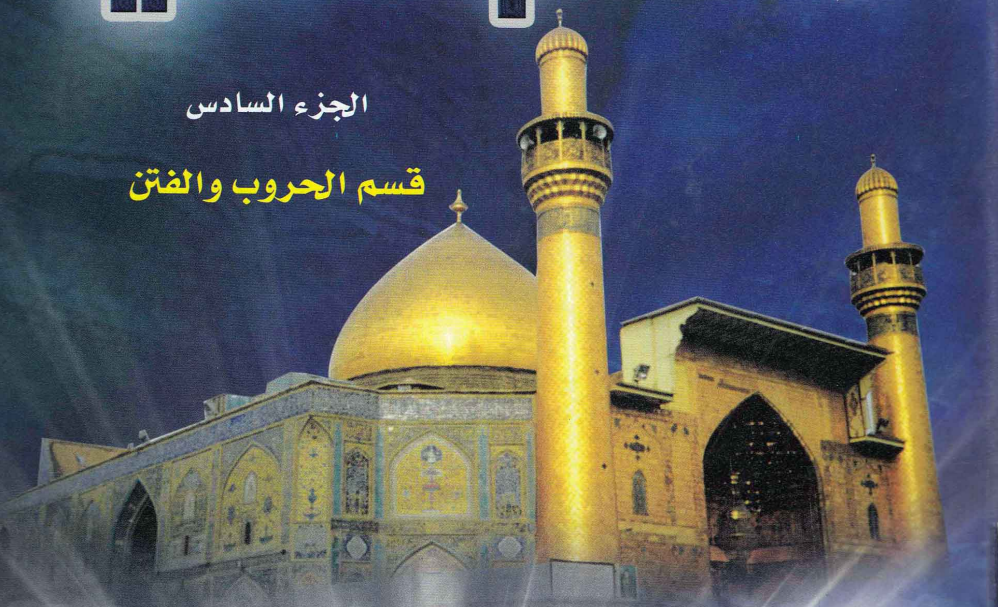

موسوعة
الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الجزء السادس

«قسم الحروب والفتن»

السيد علي عاشور

EDITO CREPS INTERNATIONAL

http/www.editocreps.com.lb
E-mail: creps@editocreps.com.lb
Beirut - Lebanon

جميع حقوق النشر والطبع والإقتباس محفوظة في جميع أنحاء العالم

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء أكانت «الكترونية» أو «ميكانيكية»، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك. إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

EDITO CREPS INTERNATIONAL

All rights reserved. No part of this book may be reproduced or be transmitted in any form by any means, electronic, mechanical, or otherwise, whether now or hereafter devised, including photocopying, recording, or any information storage and retrieval system without express written prior permission from the publisher.

أمير المؤمنين عليه السلام في عهد عثمان

قصة الشورى

في صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون: لمّا فُرغ من دفنه [أي عمر] إجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : إجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم .

فقال الزبير : قد جعلتُ أمري إلى عليّ ، فقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان ، وقال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف .

فقال عبد الرحمن : أيّكما تبرّأ من هذا الأمر فنجعله إليه واللهُ عليه والإسلام لينظرنّ أفضلهم في نفسه ؟ فأُسكِت الشيخان .

فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إليّ واللهُ عليَّ ألّا آلوَ عن أفضلكم ؟ قالا : نعم .

فأخذ بيد أحدهما،فقال : لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله والقِدَم في الإسلام ما قد علمتَ ، فالله عليك لئن أمّرتُك لتعدلنّ ، ولئن أمّرتُ عثمان لتسمعنّ ولتُطيعنّ .

ثمّ خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلمّا أخذ الميثاق قال : إرفعْ يدك يا عثمان ، فبايَعَه ، فبايع له عليّ ، وولج أهل الدار فبايعوه[1] .

تاريخ الطبري: خرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عمّمه بها رسول الله صلى الله عليه وآله ، متقلّداً سيفه ، حتى ركب المنبر ، فوقف وقوفاً طويلاً ، ثمّ دعى بما لم يسمعه الناس ، ثمّ تكلّم فقال : أيّها الناس ! إنّي قد سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم فلم أجدكم تَعدِلون بأحد هذين الرجلين : إمّا عليّ وإمّا عثمان ، فقم إليّ يا

---

(١) صحيح البخاري : ٣ / ١٣٥٦ / ٣٤٩٧ ، تاريخ الخلفاء : ١٥٨ .

عليّ !

فقام إليه عليّ فوقف تحت المنبر، فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنّة نبيّه وفِعل أبي بكر وعمر ؟

قال : اللهمّ لا، ولكن على جَهدي من ذلك وطاقتي. فأرسَل يدَه.

ثمّ نادى فقال : قم إليّ يا عثمان ! فأخذ بيده ـ وهو في موقف عليّ الذي كان فيه ـ فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنّة نبيّه وفِعل أبي بكر وعمر ؟

قال : اللهمّ نعم.

فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، ثمّ قال : اللهمّ اسمع واشهد ! اللهمّ إنّي قد جعلت ما في رقَبتي من ذاك في رقَبة عثمان.

وازدحم الناس يُبايعون عثمان حتى غَشُّوه عند المنبر، فقعد عبد الرحمن مَقعد النبيّ صلى الله عليه وآله من المنبر، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبايعونه، وتلكّأ عليٌّ، فقال عبد الرحمن : ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[1].

فرجع عليٌّ يشقّ الناس حتى بايع وهو يقول : خدعةٌ وأيّما خدعة !![2]

الكامل في التاريخ: لمّا دُفن عمر، جمع المقداد أهل الشورى...

فقال عبد الرحمن : أيّكم يُخرج منها نفسَه ويتقلّدها على أن يُولّيها أفضلكم ؟ فلم يُجِبه أحد.

فقال : فأنا أنخلع منها، فقال عثمان : أنا أوّل مَن رضي، فقال القوم : قد رضينا، وعليّ ساكت.

فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟

---

(١) الفتح : ١٠.

(٢) تاريخ الطبري : ٤ / ٢٣٨، تاريخ الإسلام للذهبي : ٣ / ٣٠٥، البداية والنهاية : ٧ / ١٤٦.

قال : أعطني موثقاً لتؤثرنّ الحقّ ، ولا تتّبع الهوى ، ولا تخصّ ذا رحم ، ولا تألو الأُمّة نُصحاً .

فقال : أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدَّل وغيَّر ، وأن ترضوا من اخترت لكم ؛ وعليَّ ميثاق الله ألّا أخصّ ذا رحم لرحمه ، ولا آلو المسلمين . فأخذ منهم ميثاقاً ، وأعطاهم مثله . . . .

ودارَ عبد الرحمن لياليه يلقى أصحابَ رسول الله ﷺ ومن وافى المدينة من أُمراء الأجناد وأشراف الناس يشاورهم ، حتى إذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الأجل أتى منزل المِسْوَر بن مَخْرَمة فأيقظه ، وقال له : لم أذق في هذه الليلة كبيرَ غُمْض[1] ! انطلِق فادْعُ الزبير وسعداً . فدعاهما ، فبدأ بالزبير فقال له : خَلِّ بني عبد مناف وهذا الأمر .

قال : نصيبي لعليّ . وقال لسعد : اجعلْ نصيبك لي .

فقال : إن اخترتَ نفسك فنعم ، وإن اخترتَ عثمان فعليٌّ أحبّ إليّ . . . .

فلمّا صلّوا الصبح جمع الرهط ، وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار وإلى أُمراء الأجناد ، فاجتمعوا حتى التجّ[2] المسجد بأهله ، فقال : أيّها الناس ! إنّ الناس قد أجمعوا أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم ، فأشيروا عليَّ .

فقال عمّار : إن أردت ألّا يختلف المسلمون فبايع عليّاً .

فقال المقداد بن الأسود : صدق عمّار ! إن بايعتَ عليّاً قلنا : سمعنا وأطعنا .

قال ابن أبي سَرْح : إن أردتَ ألّا تختلف قريش فبايع عثمان .

فقال عبد الله بن أبي ربيعة : صدق ![3] إن بايعتَ عثمان قلنا : سمعنا وأطعنا .

---

(١) ما ذُقْتُ غُمْضاً : أي ما ذُقْتُ نَوماً (لسان العرب : ٧ / ١٩٩) .

(٢) التجّ الظلام : اختلط (المحيط في اللغة : ٦ / ٤٠٨) .

(٣) في المصدر «صدقت» ، وما أثبتناه من تاريخ الطبري ؛ وهو المناسب للسياق .

فشتم[١] عمّارٌ ابنَ أبي سَرْح وقال : متى كنتَ تنصح المسلمين ! !

فتكلّم بنو هاشم وبنو أُميّة ، فقال عمّار : أيّها الناس ! إنّ الله أكرمنا بنبيّه وأعزّنا بدينه ، فأنّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم ؟ !

فقال رجل من بني مخزوم : لقد عدوتَ طورَك يابن سميّة ! وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ! !

فقال سعد بن أبي وقّاص : يا عبد الرحمن ، افرغ قبل أن يفتتن الناس .

فقال عبد الرحمن : إنّي قد نظرتُ وشاورتُ ، فلا تجعلُنّ ـ أيّها الرهط ـ على أنفسكم سبيلاً . ودعا عليّاً وقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده .

قال : أرجو أن أفعل ؛ فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي .

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعليّ ، فقال : نعم نعمل .

فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال : اللهمّ اسمع واشهد ! اللهمّ إنّي قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان . فبايَعَه .

فقال عليٌّ : ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا ! ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٢] ، والله ما ولّيتَ عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك ! ! والله كلّ يوم في شأن .

فقال عبد الرحمن : يا عليّ ، لا تجعل على نفسك حجّة وسبيلاً . فخرج عليّ وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله !

فقال المقداد : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركتَه وإنّه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون !

---

(١) في المصدر: «فتبسَّم» ، وما أثبتناه من تاريخ الطبري .

(٢) يوسف : ١٨ .

فقال : يا مقداد ، والله لقد اجتهدتُ للمسلمين .

قال : إن كنتَ أردتَ الله فأثابك الله ثواب المحسنين .

فقال المقداد : ما رأيتُ مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم ! إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضى بالعدل ولا أعلم منه ! ! أما والله لو أجد أعواناً عليه !

فقال عبد الرحمن : يا مقداد ، اتّقِ الله ! فإنّي خائفٌ عليك الفتنة .

فقال رجل للمقداد : رحمك الله ! مَن أهل هذا البيت ؟ ومن هذا الرجل ؟

قال : أهل البيت بنو عبد المطّلب ، والرجل عليّ بن أبي طالب .

فقال عليّ : إنّ الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر بينها فتقول : إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم تداولتموها بينكم[1] .

ـ **تاريخ اليعقوبي**: كان عبد الرحمن بن عوف الزهري ـ لمّا توفّي عمر واجتمعوا للشورى ـ سألهم أن يُخرِج نفسَه منها على أن يختار منهم رجلاً ، فـفعلوا ذلك ، فأقام ثلاثة أيّام ، وخلا بعليّ بن أبي طالب ، فقال : لنا الله عليك ، إن وُلّيت هـذا الأمر ، أن تسير فينا بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر .

فقال : أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت .

فخلا بعثمان فقال له : لنا الله عليك ، إن وُلّيت هذا الأمر ، أن تسير فينا بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر .

فقال : لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر .

ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأُولى ، فأجابه مثل الجواب الأوّل ؛ ثمّ خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأُولى ، فأجابه مثل ما كان أجابه ، ثمّ خلا بعليّ فقال

---

(١) الكـامل فـي التـاريخ : ٢ / ٢٢١ ـ ٢٢٤ ، تـاريخ الطبري : ٤ / ٢٣٠ ـ ٢٣٣ ، تـاريخ المـدينة : ٣ / ٩٢٦ ـ ٩٣١ ، العقد الفريد : ٣ / ٢٨٦ ـ ٢٨٨ كلّها نحوه .

له مثل المقالة الأُولى ، فقال :

إنّ كتاب الله وسنّة نبيّه لا يحتاج معهما إلى إجّيرَى[١] أحد ! أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عنّي ! !

فخلا بعثمان فأعاد عليه القول ، فأجابه بذلك الجواب ، وصفق على يده[٢] .

ـ **الأمالي للطوسي عن محمّد بن عمرو بن حزم:** إنّ القوم حين اجتمعوا للشورى فقالوا فيها ، وناجى عبد الرحمن رجل[٣] منهم على حدة ، ثمّ قال لعليّ عليه السلام : عليك عهد الله وميثاقه ، لئن وُلّيت لتعملنّ بكتاب الله وسُنّة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر .

فقال عليّ عليه السلام : عليَّ عهد الله وميثاقه ، لئن وُلّيت أمركم لأعملنّ بكتاب الله وسُنّة رسوله .

فقال عبد الرحمن لعثمان كقوله لعليّ عليه السلام فأجابه : أن نعم .

فردّ عليهما القول ثلاثاً ، كلّ ذلك يقول عليّ عليه السلام كقوله ، ويجيبه عثمان : أن نعم ، فبايع عثمانَ عبدُ الرحمن عند ذلك[٤] .

ـ **مسند ابن حنبل عن أبي وائل:** قلت لعبد الرحمن بن عوف : كيف بايعتم عثمان وتركتم عليّاً رضي الله عنه ؟ قال : ما ذنبي ؟ قد بدأت بعليّ فقلتُ : أُبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله ، وسيرة أبي بكر وعمر .

فقال : فيما استطعتُ . ثمَّ عرضتها على عثمان فقبلها[٥] .

---

(١) الإجّيرَى : العادَة (تاج العروس : ٦ / ١٣) والمراد هنا : الطريقة .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٦٢ وراجع الأمالي للطوسي : ٥٥٧ / ١١٧١ وشرح نهج البلاغة : ٩ / ٥٣ .

(٣) كذا في المصدر ، والظاهر أنّ الصحيح : «كلّ رجل منهم» .

(٤) الأمالي للطوسي : ٧٠٩ / ١٥١٢ .

(٥) مسند ابن حنبل : ١ / ١٦٢ / ٥٥٧ ، المنتظم : ٤ / ٣٣٧ ، تاريخ الإسلام للذهبي : ٣ / ٣٠٤ ، تاريخ الخلفاء : ١٨٢ .

وفي الإمامة والسياسة ١ / ٤٥ : أنّ عبد الرحمن بن عوف أخذ بيد عثمان ، فقال له : عليك عهد الله =

ـ **الأمالي للطوسي عن أبي ذرّ:** إنّ عليّاً عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص، أمرهم عمر بن الخطّاب أن يدخلوا بيتاً ويغلقوا عليهم بابه ويتشاوروا في أمرهم، وأجّلهم ثلاثة أيّام، فإن توافق خمسة على قول واحد وأبى رجلٌ منهم، قُتِلَ ذلك الرجل، وإن توافق أربعة وأبى اثنان، قُتِلَ الاثنان، فلمّا توافقوا جميعاً على رأي واحد، قال لهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّي أُحبُّ أن تسمعوا منّي ما أقول، فإن يكن حقّاً فاقبلوه، وإن يكن باطلاً فأنكروه.

قالوا: قل....

فما زال يُناشدهم، ويُذكّرهم ما أكرمه الله تعالى، وأنعم عليه به، حتى قام قائم الظهيرة ودنت الصلاة، ثمّ أقبل عليهم فقال: أمّا إذا أقررتم على أنفسكم، وبأنّ لكم من سببي الذي ذكرت، فعليكم بتقوى الله وحده، وأنهاكم عن سخط الله، فلا تعرضوا ولا تضيّعوا أمري، وردّوا الحقّ إلى أهله، واتّبعوا سنّة نبيّكم صلى الله عليه وآله وسنّتي من بعده، فإنّكم إن خالفتموني خالفتم نبيّكم صلى الله عليه وآله، فقد سمع ذلك منه جميعكم، وسلّموها إلى من هو لها أهل وهي له أهل، أما والله ما أنا بالراغب في دنياكم، ولا قلت ما قلت لكم افتخاراً ولا تزكية لنفسي، ولكن حدّثتُ بنعمة ربّي،

= وميثاقه، لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنّة رسوله وسنّة صاحبيك، وشرط عمر؛ أن لا تجعل أحداً من بني أُميّة على رقاب الناس.

فقال عثمان: نعم.

ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام، فقال له: أُبايعك على شرط عمر؛ أن لا تجعل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس.

فقال عليٌّ عليه السلام عند ذلك: ما لك ولهذا إذا قطعتها في عنقي؟ فإنّ عليَّ الاجتهاد لأُمّة محمّد حيث علمت القوّة والأمانة استعنت بها، كان في بني هاشم أو غيرهم.

قال عبد الرحمن: لا والله، حتى تعطيني هذا الشرط.

قال عليّ: والله لا أعطيكه أبداً.

وأخذتُ عليكم بالحُجّة . ثمَّ نهض إلى الصلاة .

فتآمر القوم فيما بينهم وتشاوروا ، فقالوا : قد فضّل الله عليّ بن أبي طالب بما ذكر لكم ، ولكنّه رجلٌ لا يفضّل أحداً على أحد ، ويجعلكم ومواليكم سواء ، وإن ولّيتموه إيّاها ساوى بين أسودكم وأبيضكم ، ولو وضع السيف على أعناقكم ، لكن ولّوها عثمان ، فهو أقدمكم مَيلاً ، وألينكم عريكة[1] ، وأجدر أن يتبع مسرّتكم ، والله غفور رحيم[2] .

ـ تاريخ دمشق عن المنهال بن عمرو وعباد بن عبد الله الأسدي وعمرو بن واثلة: قال عليّ ابن أبي طالب يوم الشورى : والله لأحتجّنّ عليهم بما لا يستطيع قرشيهم ولا عربيهم ولا عجميهم ردّه ، ولا يقول خلافه .

ثمّ قال لعثمان بن عفان ولعبد الرحمن بن عوف والزبير ولطلحة وسعد ، وهم أصحاب الشورى وكلّهم من قريش ، وقد كان قدم طلحة :

أنشدكم بالله الذي لا إله إلّا هو ، أفيكم أحد وحّد اللهَ قبلي ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : أنشدكم بالله ، هل فيكم أحد صلّى لله قبلي وصلّى القبلتين ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : أنشدكم بالله ، أفيكم أحد أخو رسول الله صلى الله عليه وآله غيري ؛ إذ آخى بين المؤمنين ، فآخى بيني وبين نفسه ، وجعلني منه بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّي لست بنبيّ ؟

قالوا : لا .

قال : أنشدكم بالله ، أفيكم مطهّر غيري إذ سدّ رسول الله صلى الله عليه وآله أبوابكم وفتح

---

(١) العَرِيكة : الطبيعة ، يقال : فلان ليّن العريكة ؛ إذا كان مُطاوِعاً مُنقاداً قليل الخلاف والنفور (النهاية : ٣ / ٢٢٢) .

(٢) الأمالي للطوسي : ٥٤٥ و٥٥٣ / ١١٦٨ ، إرشاد القلوب : ٢٥٩ و٢٦٣ .

بابي ، وكنت معه في مساكنه ومسجده ، فقام إليه عمّه فقال : يا رسول الله غلقت أبوابنا وفتحت باب عليّ ؟ قال : «نعم ، الله أمر بفتح بابه وسدّ أبوابكم»؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد أحبّ إلى الله وإلى رسوله منّي ؛ إذ دفع الراية إليّ يوم خيبر ، فقال : لأُعطينّ الراية إلى من يحبّ اللهَ ورسولَه ويحبّه اللهُ ورسولُه ، ويوم الطائر إذ يقول : اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي ، فجئت ، فقال : اللهمّ وإلى رسولك ، اللهمّ وإلى رسولك ، غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد قدّم بين يدي نجواه صدقة غيري حتى رفع الله ذلك الحكم ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم من قتل مشركي قريش والعرب في الله وفي رسوله غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله أفيكم أحد دعى رسول الله ﷺ له في العلم ، وأن يكون أُذنه الواعية مثل ما دعى لي ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم ، ومن جعله رسول الله ﷺ نفسه ، وإبناه أبناءه ، ونساءه نساءه غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد كان يأخذ الخمس مع النبيّ ﷺ قبل أن يؤمن أحد من قرابته غيري وغير فاطمة ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم اليوم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدة نساء عالمها ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد له ابنان مثل ابنيّ الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة ما خلا النبيّين غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد له أخ كأخي جعفر الطيّار في الجنّة ، المزيّن بالجناحين مع الملائكة ، غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد له عمّ مثل عمّي أسد الله وأسد رسوله سيّد الشهداء حمزة غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد ولي غمض رسول الله صلى الله عليه وآله مع الملائكة غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد ولي غسل النبيّ صلى الله عليه وآله مع الملائكة يقلّبونه لي كيف أشاء غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد كان آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضعه في حفرته غيري ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : نشدتكم بالله ، أفيكم أحد قضى عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعده ديونه ومواعيده غيري ؟

قالوا: اللهمّ لا.

قال: وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[١][٢].

ـ **شرح نهج البلاغة** ـ في ذكر أحداث البيعة يوم الدار ـ: صفَق [عبد الرحمن] على يد عثمان وقال: والله، ما فعلتَها إلّا لأنّك رجوتَ منه مارجا صاحبُكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عِطْرَ مَنْشِم[٣].

قيل: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن، فلم يكلّم أحدُهما صاحبَه حتّى مات عبد الرحمن[٤].

ـ **الإمام عليّ عليه السلام**: يابن عوف! كيف رأيت صنيعك مع عثمان؟ ربّ واثق خجل، ومن لم يتوخّ بعمله وجه الله عاد مادحه من الناس له ذامّاً[٥].

ـ **شرح نهج البلاغة**: لمّا بنى عثمان قصره طَمار بالزوراء[٦]، وصنع طعاماً كثيراً، ودعا الناس إليه، كان فيهم عبد الرحمن، فلمّا نظر للبناء والطعام قال: يابن عفان، لقد صدّقنا عليك ما كنّا نكذّب فيك، وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك. فغضب عثمان، وقال: أخرجه عنّي يا غلام، فأخرجوه، وأمر الناس ألّا يجالسوه، فلم يكن يأتيه أحد إلّا ابنُ عبّاس، كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض. ومرض

---

(١) الأنبياء: ١١١.

(٢) تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٣١ و ص ٤٣٣ ـ ٤٣٥؛ الأمالي للطوسي: ٣٣٣ / ٦٦٧، بشارة المصطفى: ٢٤٣ كلاهما نحوه.

(٣) قال الأصمعي: مَنشِم ـ بكسر الشين ـ: اسم امرأة كانت بمكّة عطّارة، وكانت خزاعة وجُرهم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم. فكان يقال: «أشأم من عطر منشم»، فصار مثلاً (الصحاح: ٥ / ٢٠٤١).

(٤) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٨٨؛ الإرشاد: ١ / ٢٨٦ عن حنش الكناني، الجمل: ١٢٢ كلاهما نحوه.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٣١٦ / ٦٢٧.

(٦) الزوراء: دار عثمان بن عفّان بالمدينة (معجم البلدان: ٣/١٥٦).

عبد الرحمن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلّمه حتى مات[١].

ـ **تاريخ اليعقوبي**: إنّ عثمان اعتلّ علّةً اشتدّت به، فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم، ثمّ كتب بيده: عبد الرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق، فأتى عبدَ الرحمن فأخبره.

فقال عبد الرحمن، وغضب غضباً شديداً: أستعمله علانيةً، ويستعملني سرّاً.

ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة، وغضب بنو أُميّة، فدعا عثمان بحمران مولاه، فضربه مائة سوط، وسيّره إلى البصرة، فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٦، الأوائل لأبي هلال: ١٢٩ عن أبي يعقوب السروي.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٩.

علم أمير المؤمنين عليه السلام بلعبة الشورى

ـ **تاريخ الطبري:** قال عليّ لقوم كانوا معه من بني هاشم : إن أُطيع فيكم قومكم لم تؤمّروا أبداً . وتلقّاه العبّاس فقال : عُدِلَتْ عنّا ! فقال : وما علمك ؟ قال : قُرن بي عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر ، فإن رضي رجلان رجلاً ، ورجلان رجلاً ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، فسعدٌ لا يخالف ابن عمّه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان ؛ لا يختلفون ، فيولّيها عبدُ الرحمن عثمانَ أو يولّيها عثمانُ عبدَ الرحمن ، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني[1] .

ـ **الإرشاد عن أبي صادق:** لمّا جعلها عمر شورى في ستّة ، وقال : إن بايع اثنان لواحدٍ ، واثنان لواحدٍ ، فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ، واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن ؛ خرج أمير المؤمنين عليه السلام من الدار وهو مُعتمِدٌ على يد عبد الله بن العبّاس فقال له : يابن عبّاس ! إنّ القوم قد عادَوْكم بعد نبيّكم كمعاداتهم لنبيّكم صلى الله عليه وآله في حياته ، أمَ واللهِ ، لا ينيبُ بهم إلى الحقّ إلّا السيف .

فقال له ابن عبّاس : وكيف ذاك ؟

قال : أَما سمعتَ قول عمر : إن بايع اثنان لواحدٍ ، واثنان لواحدٍ ، فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ، واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن ؟

قال ابن عبّاس : بلى .

قال : أفلا تعلم أنّ عبد الرحمن ابنُ عمّ سعد ، وأنّ عثمان صهرٌ عبد الرحمن ؟

---

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٢٢٩ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٢٢١ ، تاريخ المدينة : ٣ / ٩٢٥ ، العقد الفريد : ٣ / ٢٨٥ نحوه .

قال : بلى . قال : فإنّ عمر قد علم أنّ سعداً وعبد الرحمن وعثمان لا يختلفون في الرأي ، وأنّه من بويع منهم كان الاثنان معه ، فأمر بقتل من خالفهم ، ولم يُبالِ أن يَقتُل طلحةَ إذا قتلني وقتل الزبير . أمَ واللهِ ، لئن عاش عمر لأُعرِّفنّه سوء رأيه فينا قديماً وحديثاً ، ولئن مات لَيَجمَعنّي وإيّاه يومٌ يكون فيه فصلُ الخطاب[١] .

ـ **شرح نهج البلاغة عن القطب الراوندي:** إنّ عمر لمّا قال : كونوا مع الثلاثة التي عبد الرحمن فيها ، قال ابن عبّاس لعليّ عليه السلام : ذهب الأمر منّا ، الرجُل يُريد أن يكون الأمر في عثمان .

فقال عليّ عليه السلام : وأنا أعلم ذلك ، ولكنّي أدخل معهم في الشورى ؛ لأنّ عمر قد أهّلَني الآن للخلافة ، وكان قبل ذلك يقول : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ النبوّة والإمامة لا يجتمعان في بيت ، فأنا أدخل في ذلك لأُظهِر للناس مناقضة فعله لروايته[٢] .

ـ **تاريخ الطبري:** قال العبّاس لعليّ : لا تدخل معهم ، قال : أكره الخلاف ، قال : إذاً ترى ما تكره[٣] .

---

(١) الإرشاد : ١ / ٢٨٥ و٢٨٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١ / ١٨٩ .

(٣) تاريخ الطبري : ٤ / ٢٢٨ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٢٢٠ ، شرح نهج البلاغة : ١ / ١٩١ وزاد فيه «وارفع نفسك عنهم» بعد «لا تدخل معهم» .

رأي أمير المؤمنين عليه السلام بالأمر

ـ **الإمام عليّ**عليه السلام ـ من كلام له لمّا عزموا على بيعة عثمان ـ : لقد علمتم أنّي أحقّ الناس بها من غيري ، ووالله لأسالِمَنّ ما سلمت أُمور المسلمين ، ولم يكن فيها جور إلّا عليَّ خاصّة ؛ التماساً لأجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زُخرُفه وزِبرِجه[١] .

ـ **عنه**عليه السلام ـ في عمر وجعله الخلافة في ستّة أشخاص ـ : حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم ، فيا لله وللشورى ! متى اعترض الريب فيَّ مع الأوّل منهم ، حتى صرتُ أُقرن إلى هذه النظائر !![٢]

ـ **تاريخ الطبري عن المِسوَر بن مخرمة عن الإمام عليّ**عليه السلام ـ في خطبته في قضيّة الشورى ـ : الحمد لله الذي بعث محمّداً منّا نبيّاً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن بيت النبوّة ، ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، لنا حقّ إن نُعطَه نأخذه ، وإن نُمنَعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السُّرى[٣] ؛ لو عهد إلينا

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٧٤.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، الإرشاد : ٢٨٨/١ ، معاني الأخبار : ١/٣٦١ ، علل الشرائع : ١٢/١٥١ ، الجمل : ١٢٦ وفيه «احتلج» بدل «اعترض» ، الاحتجاج : ١ / ٤٥٤ / ١٠٥ كلّها عن ابن عبّاس ، المناقب لابن شهر آشوب : ٢ / ٢٠٥ ، نثر الدرّ : ١ / ٢٧٥ ؛ تذكرة الخواصّ : ١٢٤ كلاهما نحوه.

(٣) قال الشريف الرضي : وهذا من لطيف الكلام وفصيحه ، ومعناه : أنّا إن لم نعطَ حقّنا كُنّا أذلّاء . وذلك أنّ الرديف يركب عجُزَ البعير كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما (نهج البلاغة : ذيل الحكمة ٢٢).

وقال ابن الأثير في النهاية : منه حديث عليّ : «لنا حقٌّ إن نُعطَهُ نأخذه ، وإن نُمنَعه نركب أعجاز =

رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت.

لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ وصلة رحم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، إسمعوا كلامي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تُنتضَى فيه السيوف، وتُخان فيه العهود؛ حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم أئمّةً لأهل الضلالة، وشيعةً لأهل الجهالة، ثمّ أنشأ يقول:

فإن تكُ جاسمُ هَلَكَتْ فإنّي ... بما فعلت بنو عبدِ بنِ ضخْمِ

مُطيعٌ في الهواجِرِ كلّ عَيّ ... بصيرٌ بالنّوَى من كلّ نَجْمِ[1]

- **وروي بلفظ:** لنا حقٌّ، فإنْ أُعطيناه، وإلّا ركبنا أعجاز الإبل، وإن طال السُّرَى[2].

- **الإرشاد عن جُندب بن عبد الله:** دخلتُ على عليٍّ بن أبي طالب بالمدينة بعد بيعة الناس لعثمان فوجدته مُطرِقاً كئيباً، فقلتُ له: ما أصاب قومك؟!

قال: صبرٌ جميلٌ.

فقلتُ له: سبحانَ الله! واللهِ إنّك لصبورٌ.

قال: فأصنعُ ماذا؟!

فقلت: تقومُ في الناس، وتدعوهم إلى نفسك، وتخبرهم أنّك أولى بالنبيّ صلى الله عليه وآله بالفضل والسابقة، وتسألُهم النصرَ على هؤلاء المتمالئين عليك[3]،

= الإبل وإن طال السُّرَى»، الرُّكوب على أعجاز الإبل شاقٌّ: أي إن مُنعنا حقّنا ركبنا مركب المشقّة صابرين عليها وإن طال الأمد.

وقيل: ضَرَب أعجاز الإبل مثلاً لتأخُّره عن حَقِّه الذي كان يراه له وتقدُّم غيره عليه، وأنّه يَصبِر على ذلك وإن طال أمَدُه: أي إن قُدِّمنا للإمامة تَقدّمنا، وإن أُخِّرنا صَبرنا على الأُثرَة وإن طالت الأيّام (النهاية: ٣/ ١٨٥).

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٢٣٦، الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٢٥ كلاهما عن المسور بن مخرمة.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢٢، المناقب لابن شهر آشوب: ١/ ٢٧٤؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢٣٦، الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٢٥ كلّها نحوه.

(٣) المتمالئين عليك: أي الذين تساعدوا واجتمعوا وتعاونوا (النهاية: ٤/ ٣٥٣).

فإن أجابك عشرةٌ من مائةٍ شَدَدْتَ بالعشرة على المائة، فإن دانوا لك كان ذلك على ما أحببْتَ، وإن أبوا قاتلتَهُم، فإن ظهرتَ عليهم فهو سلطان الله الذي آتاهُ نبيّهُ عليه السلام وكنتَ أولى به منهم، وإن قُتلتَ في طلبه قُتلتَ شهيداً، وكنت أولى بالعذر عند الله، وأحقَّ بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: أ تراهُ ـ يا جُندبُ ـ يُبايعُني عشرةٌ من مائة؟!

قلت: أرجو ذلك. قال: لكنّني لا أرجو ولا من كلِّ مائةٍ اثنين، وسأُخبرك من أين ذلك، إنّما ينظر الناس إلى قريش، وإنّ قريشاً تقول: إنّ آل محمّدٍ يرونَ لهم فضلاً على سائر الناس، وإنّهم أولياء الأمر دون قريش، وإنّهم إن وَلُوْهُ لم يخرجْ منهم هذا السلطان إلى أحدٍ أبداً، ومتى كان في غيرهم تداولتموه بينكم، ولا ـ واللهِ ـ لا تدفع قريشٌ إلينا هذا السلطان طائعين أبداً. فقلت له: أفَلا أرجع فأُخبر الناس بمقالتك هذه، وأدعوهم إليك؟ فقال لي: يا جُندبُ، ليس هذا زمان ذاك.

فرجعتُ بعد ذلك إلى العراق، فكنتُ كلّما ذكرتُ للناس شيئاً من فضائل عليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام ومناقبه وحقوقه زَبرُوني ونَهَرُوني، حتى رُفِعَ ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة ليالِيَ وَلِيَنَا، فبعث إليّ فحبسني حتى كُلِّمَ فيَّ فخلّى سبيلي[1].

(١) الإرشاد: ١ / ٢٤١، الأمالي للطوسي: ٢٣٤ / ٤١٥؛ شرح نهج البلاغة: ٩ / ٥٧ نحوه.

إنزعاج أمير المؤمنين مما حصل

قال الإمام عليّ عليه السلام ـ من خطبة له عليه السلام ـ : أما والله لقد تقمّصها فلان[١]، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير؛ فسدلْتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كشحاً، وطَفِقْتُ أرتَئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء[٢]، أو أصبر على طخية[٣] عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمنٌ حتى يلقى ربّه!

فرأيتُ أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذًى[٤]، وفي الحلق شجاً[٥]، أرى تُراثي نَهباً، حتى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده.

ثمّ تمثّل بقول الأعشى:

شتّان ما يومي على كُورِها[٦] ويومُ حيّان أخي جابِرِ

فياعجباً!! بينا هو يستقيلُها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ـ لشدّ ما تشطّرا ضَرْعَيْهَا! ـ فصيّرها في حوزةٍ خشناء يغلُظُ كلمها، ويخشنُ مسُّها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمُني الناس ـ لعمرُ الله ـ بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض؛ فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة؛ حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي

---

(١) قمصتُه قميصاً: إذا ألبسته، وأراد بالقميص الخلافة، وهو من أحسن الاستعارات (النهاية: ٤/١٠٨).

(٢) جَذّاء: مقطُوعة، كنى به عن قُصور أصحابه وتقاعُدِهم عن الغَزوِ، فإنّ الجندَ للأمير كاليد (النهاية: ١/٢٥٠).

(٣) الطَّخْيَة: الظلمةُ والغَيمُ (النهاية: ٣/١١٦).

(٤) القَذى: ما يقع في العين والماء والشراب من تُراب أو تِبْن أو وسخ أو غير ذلك (النهاية: ٤/٣٠).

(٥) ما يَنْشَبُ في الحَلْق من عظمٍ ونحوه فَيُغَصُّ به (مجمع البحرين: ٢/٩٣٢).

(٦) الكُور بالضمّ: الرَّحل، وقيل: الرَّحل بأداته (لسان العرب: ٥/١٥٤).

أحدهم ، فيا لله وللشورى ! متى اعترض الريب فيَّ مع الأوّل منهم ، حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر ! لكنّي أسففت إذ أسفُّوا ، وطرت إذ طاروا ؛ فصغا رجل منهم لضِغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هنٍ وهنٍ ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنَيْه ، بين نَثِيلِهِ ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث عليه فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته !

فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع إليّ ، ينثالون عليَّ من كلّ جانب ، حتى لقد وطِئ الحسنان ، وشقّ عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم ، فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أُخرى ، وقسط آخرون : كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] بلى ! والله لقد سمعوها ووَعَوْهَا ، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها !

أما والذي فلق الحبّة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء ألّا يُقارّوا على كظّة ظالم ، ولا سغبِ مظلوم ، لألقيتُ حبلها على غاربها ، ولسقيْتُ آخرها بكأسِ أوّلها ، ولألفيتم دُنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عَنْزٍ !

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته ، فناوله كتاباً ـ قيل : إنّ فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها ـ فأقبل ينظر فيه ، فلمّا فرغ من قراءته ، قال له ابن عبّاس : يا أمير المؤمنين ، لو اطّردتْ خطبتُك من حيث أفضيت ! فقال : هيهات يابن عبّاس ! تلك شقشقةٌ هدرت ثُمَّ قرّت !

قال ابن عبّاس : فوالله ، ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام ألّا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد[2] .

---

(١) القصص : ٨٣.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، الإرشاد : ١ / ٢٨٧ ، معاني الأخبار : ٣٦١ / ١ ، علل الشرائع :

عهد حكومة أمير المؤمنين عليه السلام

رأي أمير المؤمنين بالحكومة

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في خطبته بعد البيعة ـ : أمّا بعد ، فإنّي قد كنتُ كارهاً لهذه الولاية ـ يعلم الله في سماواته وفوق عرشه ـ على أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله ، حتى اجتمعتم على ذلك ، فدخلتُ فيه[1] .

في تاريخ الطبري عن أبي بشير العابدي : كنت بالمدينة حين قتل عثمان ، واجتمع المهاجرون والأنصار ـ فيهم طلحة والزبير ـ فأتوا عليّاً ، فقالوا : يا أبا حسن ، هلمّ نبايعك !

فقال : لا حاجة لي في أمركم ، أنا معكم ؛ فمن اخترتم فقد رضيتُ به ، فاختاروا والله ! فقالوا : ما نختار غيرك .

قال : فاختلفوا إليه بعدما قُتل عثمان مراراً ، ثمّ أتوه في آخر ذلك ، فقالوا له : إنّه لا يصلح الناس إلّا بإمرة ، وقد طال الأمر ! فقال لهم : إنّكم قد اختلفتم إليَّ وأتيتم ، وإنّي قائلٌ لكم قولاً إن قبلتموه قبلتُ أمركم ، وإلّا فلا حاجة لي فيه .

قالوا : ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله .

فجاء فصعد المنبر ، فاجتمع الناس إليه ، فقال : إنّي قد كنتُ كارهاً لأمركم ،

= ١٥٠ / ١٢ ، الأمالي للطوسي : ٣٧٢ / ٨٠٣ ، الاحتجاج : ١ / ٤٥٢ / ١٠٥ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٢ / ٢٠٤ ، نثر الدرّ : ١ / ٢٧٤ ؛ تذكرة الخواصّ : ١٢٤ كلّها نحوه .

(١) الأمالي للطوسي : ٧٢٨ / ١٥٣٠ عن مالك بن أوس ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٢٦ / ٩ .

فأبيتم إلّا أن أكون عليكم ، ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم ، إلّا أنّ مفاتيح مالكم معي ، ألا وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم ، رضيتم ؟ قالوا : نعم .

قال : اللهمّ اشهَد عليهم . ثمّ بايعهم على ذلك[١] .

في تاريخ الطبري عن محمّد وطلحة : غشي الناس عليّاً ، فقالوا : نبايعك ؛ فقد ترى ما نزل بالإسلام ، وما ابتُلينا به من ذوي القربى ! فقال عليّ : دعوني ، والتمسوا غيري ؛ فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول .

فقالوا : نُنشدك الله ، ألا ترى ما نرى ! ألا ترى الإسلام ! ألا ترى الفتنة ! ألا تخاف الله !

فقال : قد أجبتُكم لما أرى ، واعلموا إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم ، وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم ، إلّا أنّي أسمَعُكم وأطوَعُكم لمن ولّيتُموه أمرَكم[٢] .

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ من كلام له لمّا أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان ـ : دَعُوني والتمسوا غيري ؛ فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول . وإنّ الآفاق قد أغامت ، والمحجّة قد تنكّرت ، واعلموا أنّي إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم ، ولم أُصغِ إلى قول القائل ، وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلّي أسمعكم وأطوَعكم لمن ولّيتموه أمرَكم ، وأنا لكم وزيراً ، خير لكم منّي أميراً[٣] .

---

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٢٧ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٠٢ و ص ٣٠٤ نحوه ؛ الكافئة : ١٢ / ٧ عن أبي بشر العائذي وفيه إلى «مراراً» ، شرح الأخبار : ١ / ٣٧٦ / ٣١٨ عن أبي بشير العائدي نحوه وراجع الفتوح : ٢ / ٤٣٤ ـ ٤٣٦ والمناقب للخوارزمي : ٤٩ / ١١ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٣٤ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٠٤ ، نهاية الأرب : ٢٠ / ١٣ وفيهما «بين القرى» بدل «ذوي القربى» ؛ الجمل : ١٢٩ عن سيف عن رجاله نحوه .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٩٢ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٢ / ١١٠ وفيه إلى «وعتب العاتب» .

في تاريخ الطبري عن محمّد ابن الحنفيّة: كنت مع أبي حين قُتل عثمان، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قُتل، ولابدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك؛ لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله!!

فقال: لا تفعلوا، فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً.

فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

قال: ففي المسجد؛ فإنّ بيعتي لا تكون خفيّاً، ولا تكون إلّا عن رضا المسلمين[١].

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ من كلام له في جواب طلحة والزبير ـ: والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنّكم دعوتُموني إليها، وحملتموني عليها، فلمّا أفضَت إليَّ نظرتُ إلى كتاب الله وما وضَع لنا وأمرَنا بالحُكم به فاتّبعتُه، وما استنّ النبيّ صلى الله عليه وآله فاقتديتُه[٢].

عنه عليه السلام ـ من كلامه لمّا أراد المسير إلى ذي قار ـ: بايعتُموني وأنا غير مسرور بذلك، ولا جَذِل[٣]، وقد علم الله سبحانه أنّي كنت كارهاً للحكومة بين أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله؛ ولقد سمعته يقول: ما من والٍ يلي شيئاً من أمر أُمّتي إلّا أُتي به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، على رؤوس الخلائق، ثمّ يُنشر كتابه، فإن كان عادلاً نجا، وإن كان جائراً هوى[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٧، أنساب الأشراف: ٣ / ١١ نحوه.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٥.

(٣) جَذِل بالشيء يَجذَل جَذَلاً، فهو جَذِلٌ وجذلانُ: فَرِحَ (لسان العرب: ١١ / ١٠٧).

(٤) الجمل: ٢٦٧، بحار الأنوار: ٣٢ / ٦٣؛ شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٠٩ عن زيد بن صوحان.

متى قبل أمير المؤمنين عليه السلام بالحكومة

قال أمير المؤمنين عليه السلام : أما والذي فلق الحبّة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا[١] على كِظّة[٢] ظالم ، ولا سغب[٣] مظلوم ، لألقيتُ حبلَها على غاربِها ، ولسَقيتُ آخرَها بكأس أوّلها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطةِ عنز[٤] .

عنه عليه السلام ـ من كلام له يبيّن سبب طلبه الحكم ـ : أيّتها النفوس المختلفة ، والقلوب المتشتّتة ، الشاهدة أبدانُهم ، والغائبة عنهم عقولهم ، أظأركم[٥] على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد ! هيهات أن أطلع بكم سَرارَ العدل ، أو أُقيم اعوجاجَ الحقّ .

اللهمّ إنّك تعلم أنّه لمْ يكن الذي كان منّا منافسةً في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنَرِدَ المعالم من دينك ، ونُظهر الإصلاح في بلادك ؛

---

(١) قارَّه مُقارَّة : أي قرّ معه وسكن ، وهو تفاعل من القرار (لسان العرب : ٥ / ٨٥) .

(٢) الكِظّة : البِطنَة ، كظّه الطعامُ والشرابُ يكُظُّه كظّاً ؛ إذا ملأه حتّى لا يطيق النفَس (لسان العرب : ٧/٤٥٧) .

والمراد استئثار الظالم بالحقوق .

(٣) سَغِب الرجل يَسغَب وسَغَبَ يَسغُبُ : جاع (لسان العرب : ١ / ٤٦٨) .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٣ ، علل الشرائع : ١٥١ / ١٢ ، معاني الأخبار : ٣٦٢ / ١ ، الإرشاد : ١ / ٢٨٩ وفيه «أولياء الأمر» بدل «العلماء» والثلاثة الأخيرة عن ابن عبّاس ، نثر الدرّ : ١ / ٢٧٥ نحوه ، غرر الحكم : ١٠١٤٩ ؛ تذكرة الخواصّ : ١٢٥ وفيه إلى «حبلها» .

(٥) ظَأرني فلان على أمر كذا وأظأرَني وظاءَرَني : أي عَطَفني (لسان العرب : ٤ / ٥١٥) .

فيأمن المظلومون من عبادك ، وتُقام المعطّلة من حدودك[١] .

عنه عليه السلام : اللهمّ إنّك تعلم أنّي لم أُرِد الإمرة ، ولا علوّ الملك والرياسة ، وإنّما أردتُ القيامَ بحدودك ، والأداء لشرعك ، ووضع الأُمور في مواضعها ، وتوفير الحقوق على أهلها ، والمضيَّ على منهاج نبيّك ، وإرشاد الضالّ إلى أنوار هدايتك[٢] .

عنه عليه السلام : لم تكن بيعتكم إيّاي فلتة ، وليس أمري وأمركم واحداً ، إنّي أُريدكم لله ، وأنتم تريدونني لأنفسكم .

أيّها الناس أعينوني على أنفسكم وآيم الله لأُنصفنّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودنّ الظالمَ بخِزامته حتى أُورده منهل الحقّ وإن كان كارهاً[٣] .

عنه عليه السلام : عدا الناس على هذا الرجل ـ وأنا معتزل ـ فقتلوه ، ثمّ ولّوني وأنا كاره ، ولولا خشية على الدين لم أُجِبهم[٤] .

عنه عليه السلام ـ في كتابه إلى أهل الكوفة ـ : والله يعلم أنّي لم أجد بدّاً من الدخول في هذا الأمر ، ولو علمت أنّ أحداً أولى به منّي ما قدمتُ عليه[٥] .

عنه عليه السلام : والله ما تقدّمتُ عليها [الخلافة] إلّا خوفاً من أن ينزو على الأمر تَيْس[٦] من بني أُميّة ، فيلعب بكتاب الله عزّ وجلّ[٧] .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٣١ ، تحف العقول : ٢٣٩ ؛ المعيار والموازنة : ٢٧٧ كلاهما نحوه من «اللهمّ» .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٠ / ٢٩٩ / ٤١٤ ؛ الدرجات الرفيعة : ٣٨ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٣٦ ، الإرشاد : ١ / ٢٤٣ عن الشعبي وفيه إلى «لأنفسكم» .

(٤) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٩١ ، فتح الباري : ١٣ / ٥٧ كلاهما عن كليب الجرمي .

(٥) الجمل : ٢٥٩ .

(٦) التَيْس : الذَكر من المعز (لسان العرب : ٦ / ٣٣) .

(٧) أنساب الأشراف : ٢ / ٣٥٣ عن حبيب بن أبي ثابت .

صعوبة المجتمع في عهد أمير المؤمنين

قال أمير المؤمنين عليه السلام : لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء[١].

في الكافي عن سليم بن قيس: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل. أمّا اتّباع الهوى: فيصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل: فينسي الآخرة، ألا إنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غداً حساب ولا عمل.

وإنّما بدء وقوع الفتن من أهواء تتّبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولّى فيها رجال رجالاً، ألا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أنّ الباطل خلص لم يخفَ على ذي حجى. لكنّه يؤخذ من هذا ضغث[٢] ومن هذا ضغث فيمزجان فيجلّلان معاً، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتّخذونها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل: قد غيّرت السنّة، وقد أتى الناس منكراً! ثمّ تشتدّ البليّة وتسبى الذرّية، وتدقّهم

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢٧٢، غرر الحكم: ٧٥٧٠، عيون الحكم والمواعظ: ٤١٥ / ٧٠٦٠.

(٢) الضِّغث: قبضة من قضبان مختلفة، وقيل: هي الحُزمة من الحشيش (لسان العرب: ٢ / ١٦٤).

الفتنة كما تدقّ النّار الحطب ، وكما تدقّ الرحى بثفالها[١] ، ويتفقّهون لغير الله ، ويتعلّمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة .

ثمّ أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته ، فقال : قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين لخلافه ، ناقضين لعهده ، مغيّرين لسنّته ، ولو حملتُ الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها ، وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، لتفرّق عنّي جندي حتى أبقى وحدي ، أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله .

أ رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورددت فدكَ إلى ورثة فاطمة عليها السلام ، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان ، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد ، ورددت قضايا من الجور قضي بها ، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ ، واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأرحام[٢] ، وسبيت ذراري بني تغلب ، ورددت ما قسم من أرض خيبر ، ومحوت دواوين العطايا ، وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي بالسويّة ، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء وألقيت المساحة ، وسوّيت بين المناكح ، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عزّ وجلّ وفرضه ، ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما كان عليه ، وسددت ما فتح فيه من الأبواب ، وفتحت ما سدّ منه ، وحرّمت المسح على الخفّين ، وحددت على النبيذ ، وأمرت بإحلال

---

(١) الثِّفال : جلدة تُبسط تحت رَحا اليد ليقع عليها الدقيق ، ويسمّى الحجر الأسفل ثفالاً بها . والمعنى : أنّها [الفتنة] تدقّهم دقّ الرحى للخبّ إذا كانت مُثقَّلة ، ولا تُثقّل إلّا عند الطحن (النهاية : ١ / ٢١٥).

(٢) في كتاب سليم: الأحكام.

المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أُدخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجه، وأدخلت من أُخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأُمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، إذاً لتفرّقوا عنّي.

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً. ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري ما لقيت من هذه الأُمّة من الفرقة، وطاعة أئمّة الضلالة، والدعاة إلى النّار.

وأعطيت[1] من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿**إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ**﴾[2] فنحن والله عنى بذي القربى، الذي قرننا الله بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله فقال تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ**﴾ فينا خاصّة ﴿**كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ**﴾ في ظلم آل محمّد ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ**﴾[3] لمن ظلمهم، رحمة منه لنا وغنى أغنانا الله به ووصّى به نبيّه صلى الله عليه وآله.

ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله رسوله صلى الله عليه وآله وأكرمنا أهل البيت

---

(١) كذا في المصدر وفي الاحتجاج: «وأعظم» وهو الصحيح ظاهراً.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) الحشر: ٧.

أن يطعمنا من أوساخ الناس ، فكذّبوا الله وكذّبوا رسوله وجحدوا كتاب الله الناطق بحقّنا ، ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا ، ما لقي أهل بيت نبيّ من أُمّته ما لقينا بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله والله المستعان على من ظلمنا ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم[1] .

(١) الكافي : ٨ / ٥٨ / ٢١ ، الاحتجاج : ١ / ١٤٦ / ٦٢٦ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عنه عليه السلام وفيه من «إنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله» ، كتاب سليم بن قيس : ٢ / ٧١٨ / ١٨ كلاهما نحوه .

بيعة الناس له عليه السلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في وصف بيعته ـ : أقبلتم إليَّ إقبال العُوذ المطافيل[١] على أولادها، تقولون: البيعةَ البيعةَ! قبضتُ كفّي فبسطتموها، ونازعتُكم يدي فجاذبتموها!![٢]

عنه عليه السلام ـ في صفة الناس عند بيعته ـ : فما راعَني إلّا والناسُ كعُرفِ الضَّبعُ[٣] إليَّ، ينثالون عليَّ من كلّ جانب، حتى لقد وُطِئ الحسنان، وشُقّ عِطفاي، مجتمعين حولي كرَبيضة الغنم[٤].

عنه عليه السلام ـ في ذكر البيعة[٥] ـ : فتداكّوا عليَّ تداكّ الإبل الهيمِ[٦] يومَ وِردها، وقد

---

(١) العُوذ: الإبل التي وضعت أولادها حديثاً، ويقال: أطفلت فهي مطفل. ويريد أنّهم جاؤوا بأجمعهم صغارهم وكبارهم (لسان العرب: ١١ / ٤٠٢).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٧، بحار الأنوار: ٣٢ / ٧٨ / ٥١.

(٣) أي يتبع بعضهم بعضاً (لسان العرب: ٩ / ٢٤٠).

قال ابن أبي الحديد: عُرف الضبع ثخين ويُضرب به المثل في الازدحام (شرح نهج البلاغه: ١/ ٢٠٠).

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٣، معاني الأخبار: ٣٦١ / ١، علل الشرائع: ١٥١ / ١٢، الإرشاد: ١ / ٢٨٩ والثلاثة الأخيرة عن ابن عبّاس، نثر الدرّ: ١ / ٢٧٥ كلاهما نحوه وليس فيها من «مجتمعين...» وراجع تذكرة الخواصّ: ١٢٥.

(٥) كما في نسخة فيض الإسلام: الخطبة ٥٣ وشرح نهج البلاغة: ٤ / ٦ وهو الصحيح، وأمّا ما ورد في نسخة صبحي الصالح وشرح ابن ميثم: الخطبة ٥٣ «من خطبة له عليه السلام وفيها يصف أصحابه بصفّين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام» فهو غير صحيح، وإن كان آخر الخطبة يشعر بذلك. والظاهر أنّ السيّد الرضي قدس سره جمع بين خطبتين. ولمزيد التحقيق قارن بين ذيل هذه الخطبة والخطبة ٤٣، وأيضاً صدر هذه الخطبة والخطبة ٢٢٩. وراجع بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٥٥ / ٤٦٣.

(٦) الهِيم: الإبل العطاش (الصحاح: ٥ / ٢٠٦٣).

أرسلها راعيها، وخلعت مثانيها، حتى ظننت أنّهم قاتليَّ، أو بعضهم قاتل بعضٍ لديّ[١].

عنه عليه السلام ـ في ذكر نكث طلحة والزبير بيعته ـ : أتيتموني فقلتم : بايعنا، فقلتُ : لا أفعل، فقلتم : بلى، فقلت : لا. وقبضتُ يدي فبسطتموها، ونازعتُكم فجذبتموها، وتداكَكتم عليَّ تَداكَّ الإبل الهِيم على حِياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنّكم قاتليَّ، وأنّ بعضكم قاتل بعض، فبسطتُ يدي، فبايعتموني مختارين، وبايعني في أوّلكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين[٢].

عنه عليه السلام ـ في وصف بيعته ـ : بسطتم يدي فكففتُها، ومددتموها فقبضتُها، ثمّ تَداكَكتم عليَّ تَداكّ الإبل الهِيم على حياضها يوم وِردها، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووُطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب[٣].

في وقعة صفّين عن خفاف بن عبد الله: تهافت الناس على عليّ بالبيعة تهافت الفَراش، حتى ضلّت النعل وسقط الرداء، ووُطئ الشيخ[٤].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٤.

(٢) الإرشاد: ١ / ٢٤٤، الاحتجاج: ١ / ٣٧٥ / ٦٨، الجمل: ٢٦٧ نحوه؛ العقد الفريد: ٣ / ١٢٣، شرح نهج البلاغة: ٣٠٩١ عن زيد بن صوحان والثلاثة الأخيرة نحوه.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٩، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥١ / ٣٥.

(٤) وقعة صفّين: ٦٥؛ شرح نهج البلاغة: ٣ / ١١١، الإمامة والسياسة: ١ / ١٠٥.

أوّل المبايعين

في الكامل في التاريخ: لمّا قُتل عثمان، إجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً، فقالوا له: إنّه لابدّ للناس من إمام! قال: لا حاجة لي [في][1] أمركم؛ فمن اخترتم رضيتُ به.

فقالوا: ما نختار غيرَك.

وتردّدوا إليه مراراً، وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نعلم أحداً أحقّ به منك؛ لا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ.

فقال: لا تفعلوا، فإنّي أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً.

فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

قال: ففي المسجد؛ فإنّ بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلّا في المسجد - وكان في بيته، وقيل: في حائط لبني عمرو بن مبذول -.

فخرج إلى المسجد وعليه إزار وطاق وعمامة خزّ، ونعلاه في يده، متوكّئاً على قوس، فبايعه الناس. وكان أوّل من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله. فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنّا لله! أوّل من بدأ بالبيعة يد شلّاء، لا يتمّ هذا الأمر! وبايعه الزبير. وقال لهما عليّ: إن أحببتما أن تبايعاني، وإن أحببتما بايعتُكما! فقالا: بل نبايعك[2].

---

(١) ما بين المعقوفين إضافة يقتضيها السياق.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٠٢، تاريخ الطبري: ٤/ ٤٢٨ عن أبي المليح نحوه، نهاية الأرب: ٢٠/ ١٠؛ بحار الأنوار: ٣٢/ ٧/ ٢ وراجع البداية والنهاية: ٧/ ٢٢٧.

في الجمل عن زيد بن أسلم: جاء طلحة والزبير إلى عليّ عليه السلام وهو متعوّذ بحيطان المدينة، فدخلا عليه وقالا له: ابسُط يدكَ نبايعك، فإنّ الناس لا يرضون إلّا بك.

فقال لهما: لا حاجة لي في ذلك، لأن أكون لكما وزيراً خير من أن أكون لكما أميراً، فليبسط من شاء منكما يده أبايعه.

فقالا: إنّ الناس لا يؤثرون غيرك، ولا يعدلون عنك إلى سواك، فابسط يدك نبايعك أوّل الناس.

فقال: إنّ بيعتي لا تكون سرّاً، فأمهلا حتى أخرج إلى المسجد.

فقالا: بل نبايعك هاهنا، ثمّ نبايعك في المسجد. فبايعاه أوّل الناس، ثمّ بايعه الناس على المنبر، أوّلهم طلحة بن عبيد الله، وكانت يده شلّاء، فصعد المنبر إليه فصفق على يده، ورجل من بني أسد يزجر الطير قائم ينظر إليه، فلمّا رأى أوّل يد صفقت على يد أمير المؤمنين عليه السلام يد طلحة وهي شلّاء، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ أوّل يد صفقت على يده شلّاء، يوشك ألّا يتمّ هذا الأمر. ثمّ نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما[1].

في الإمامة والسياسة ـ في ذكر بيعة الإمام عليّ عليه السلام ـ: كان أوّل من صعد المنبر طلحة، فبايعه بيده، وكانت أصابعه شلّاء، فتطيّر[2] منها عليّ، فقال: ما أخلَقَها[3] أن تنكث. ثمّ بايعه الزبير، وسعد، وأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله جميعاً[4].

في العقد الفريد: لمّا قُتل عثمان بن عفّان، أقبل الناس يهرعون إلى عليّ بن أبي طالب، فتراكمت عليه الجماعة في البيعة، فقال: ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك

---

(١) الجمل: ١٣٠.

(٢) تطيّرت من الشيء، وبالشيء، والاسم منه الطِّيَرَة ـ وقد تسكّن الياء ـ: وهو ما يُتشاءم به من الفأل الرديء (لسان العرب: ٤/ ٥١٢).

(٣) ما أخلَقَه: أي ما أشبهه، ويقال: إنّه لخَليق: أي حَرِيّ (لسان العرب: ١٠/ ٩١).

(٤) الإمامة والسياسة: ١/ ٦٦.

لأهل بدر، ليبايعوا.

فقال: أين طلحة والزبير وسعد؟ فأقبلوا فبايعوا، ثمّ بايعه المهاجرون والأنصار، ثمّ بايعه الناس. وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين.

وكان أوّل من بايع طلحة، فكانت إصبعه شلّاء، فتطيّر منها عليّ، وقال: ما أخلقه أن ينكث[1].

في المناقب للخوارزمي عن سعيد بن المسيّب: خرج عليّ عليه السلام فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يُهرَعون[2] إلى عليّ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: أمير المؤمنين عليّ، حتى دخلوا عليه داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك؛ فلابدّ من أمير.

فقال عليّ: ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبقَ من أهل بدر إلّا أتى عليّاً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك؛ مدّ يدك نبايعك. فقال: أين طلحة والزبير؟ فكان أوّل من بايعه طلحة، فبايعه بيده، وكانت إصبع طلحة شلّاء، فتطيّر منها عليّ وقال: ما أخلَقه أن ينكث. ثمّ بايعه الزبير، وسعد، وأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله جميعاً[3].

---

(١) العقد الفريد: ٣ / ٣١١.

(٢) أي يسعَون عِجالاً (لسان العرب: ٨ / ٣٦٩).

(٣) المناقب للخوارزمي: ٤٩ / ١١، أسد الغابة: ٤ / ١٠٧ / ٣٧٨٩؛ كشف الغمّة: ١ / ٧٨ كلاهما نحوه.

بيعة المسجد

في شرح نهج البلاغة عن ابن عبّاس: لمّا دخل عليّ عليه السلام المسجد وجاء الناس ليبايعوه، خفتُ أن يتكلّم بعض أهل الشنآن لعليّ عليه السلام؛ ممّن قتل أباه أو أخاه أو ذا قرابته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فيزهد عليّ في الأمر ويتركه، فكنتُ أرصد ذلك وأتخوّفه، فلم يتكلّم أحد حتى بايعه الناس كلّهم، راضين مسلّمين غير مكرهين[1].

في الفتوح: قالت الأنصار [للناس]: إنّكم قد عرفتُم فضل عليّ بن أبي طالب وسابقتَه وقرابتَه ومنزلتَه من النبيّ صلى الله عليه وآله، مع علمه بحلالكم وحرامكم، وحاجتُكم إليه من بين الصحابة، ولن يألوكم نصحاً، ولو علمنا مكان أحد هو أفضل منه وأجمل لهذا الأمر وأولى به منه لدعوناكم إليه.

فقال الناس كلّهم بكلمة واحدة: رضينا به طائعين غير كارهين.

فقال لهم عليّ: أخبروني عن قولكم هذا: «رضينا به طائعين غير كارهين»، أحقٌّ واجب هذا من الله عليكم، أم رأي رأيتموه من عند أنفسكم؟

قالوا: بل هو واجب أوجبه الله عزّ وجلّ لك علينا[2].

في الجمل عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أبزى: ألا أُحدّثك ما رأت عيناي وسمعت أُذناي!! لمّا التقى الناس عند بيت المال قال عليّ لطلحة: أبسط

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤ / ١٠. وفي هذا القول تأمّل؛ لأنّ عبد الله بن عبّاس كان عاملاً من جانب عثمان على الحجّ وقدم المدينة وقد بويع لعليّ عليه السلام. راجع تاريخ الطبري: ٤ / ٤٣٩. ويمكن أن يكون الراوي عبيد الله أو قثم ابنا عبّاس.

(٢) الفتوح: ٢ / ٤٣٥.

يدك أُبايعك.

فقال طلحة: أنت أحقّ بهذا الأمر منّي، وقد اجتمع لك من أهواء الناس ما لم يجتمع لي.

فقال عليه السلام له: ما خشينا غيرك! فقال طلحة: لا تخشَ، فوالله لا تؤتى من قِبَلي.

وقام عمّار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيّهان، ورفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، وأبو أيّوب خالد بن زيد، فقالوا لعليّ: إنّ هذا الأمر قد فسد، وقد رأيت ما صنع عثمان، وما أتاه من خلاف الكتاب والسنّة، فابسط يدك نبايعك؛ لتُصلِح من أمر الأُمّة ما قد فسد.

فاستقال عليّ عليه السلام وقال: قد رأيتم ما صُنع بي، وعرفتم رأيَ القوم، فلا حاجة لي فيهم.

فأقبلوا على الأنصار فقالوا: يا معاشر الأنصار، أنتم أنصار الله وأنصار رسوله، وبرسوله أكرمكم الله تعالى، وقد علمتم فضلَ عليٍّ وسابقتَه في الإسلام، وقرابته ومكانته التي كانت له من النبيّ صلى الله عليه وآله، وإن ولي أنالكم خيراً.

فقال القوم: نحن أرضى الناس به، ما نريد به بدلاً.

ثمّ اجتمعوا عليه، فلم يزالوا به حتى بايعوه[1].

عنه عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: إنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار؛ فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً، فإن خرج عن أمرهم خارج ـ بطعن أو بدعةٍ ـ ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبَى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولّى[2].

---

(١) الجمل: ١٢٨ وراجع الكافئة: ١٢ / ٨ والفتوح: ٢ / ٤٣٤ و ٤٣٥.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٦، وقعة صفّين: ٢٩؛ الإمامة والسياسة: ١ / ١١٣، العقد الفريد: ٣ / ٣٢٩ =

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في جواب كتاب معاوية ـ : أمّا تمييزك بينك وبين طلحة والزبير، وبين أهل الشام وأهل البصرة، فلَعمري ما الأمر فيما هناك إلّا سواء، لأنّها بيعة شاملة؛ لا يستثنى فيها الخيار، ولا يُستأنف فيها النظر[١].

في الفتوح: بايعت أهل الكوفة عليّاً رضي الله عنه بأجمعهم... فبايَعت أهل الحجاز وأهل العراقين لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

في الطبقات الكبرى: لمّا قُتل عثمان يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، وبويع لعليّ بن أبي طالب بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان، بالخلافة، بايعه طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقّاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمّار بن ياسر، وأُسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيّوب الأنصاري، ومحمّد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وغيرهم[٣].

= وفي صدرها «أمّا بعد، فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام...»، الفتوح: ٢ / ٥٠٦ وفيه من «وإنّما الشورى للمهاجرين...» وليس فيه «وولّاه الله ما تولّى»، الأخبار الطوال: ١٥٧ نحوه وراجع الإرشاد: ١ / ٢٤٣.

(١) الكامل للمبرّد: ١ / ٤٢٨؛ وقعة صفّين: ٥٨ نحوه، نهج البلاغة: الكتاب ٧ وفيه «لأنّها بيعة واحدة لا يُثنّى فيها النظر ولا يُستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن والمُروّي فيها مُداهِن».

(٢) الفتوح: ٢ / ٤٣٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣ / ٣١.

ذكر من أنكر البيعة

كانت بيعة الإمام عليه السلام عامّة شاملة، وقد اشترك فيها جميع المهاجرين والأنصار[١]، وتمام من كان في المدينة. وقد بايع الجميع عن اختيار كامل، وحرّية تامّة. ثمّ بايعه أهالي مكّة والحجاز والكوفة[٢].

وقد صرّح الإمام عليه السلام بأنّ بيعته عامّة شاملة[٣]، كما صرّحت المصادر التاريخيّة الكثيرة باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعة الإمام عليه السلام[٤].

لكن ذكرت بعض المصادر أخباراً تدلّ على تخلّف أمثال: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقّاص، ومحمّد بن مسلمة، وأُسامة بن زيد، وحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن سلام، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، عن البَيْعة[٥].

وفي تخلّف هؤلاء عن البيعة نظريّتان:

الأُولى: إنّ هؤلاء تخلّفوا عن بيعة الإمام، بل كانوا مخالفين لبيعته واقعاً.

الثانية: إنّهم لم يخالفوا أصل البيعة، وأنّ ما ورد في النصوص مشعراً بذلك فهو بمعنى عدم مُسايرتهم للإمام في حروبه الداخليّة.

قال الحاكم النسابوري ـ بعد ذكر الأخبار الواردة في بيعة الناس للإمام ـ: «أمّا

---

(١) تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٣٧.

(٢) الفتوح: ٢ / ٤٣٩.

(٣) الكامل للمبرّد: ١ / ٤٢٨؛ وقعة صفّين: ٥٨، الإرشاد: ١ / ٢٤٣.

(٤) العقد الفريد: ٣ / ٣١١، تاريخ الطبري: ٤ / ٤٢٧، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٠٢.

(٥) الإرشاد: ١ / ٢٤٣؛ تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٣٧، شرح نهج البلاغة: ٤ / ٩.

قول من زعم أنّ عبد الله بن عمر وأبا مسعود الأنصاري وسعد بن أبي وقّاص وأبا موسى الأشعري ومحمّد بن مسلمة الأنصاري وأُسامة بن زيد قعدوا عن بيعته، فإنّ هذا قول مَن يجحد حقيقة تلك الأحوال»، ثمّ ذكر أنّ هؤلاء بايعوا الإمام لكن لم يسايروه في حروبه الداخليّة؛ لأسباب دَعَتهم إلى ذلك، ممّا أوقع البعض في اعتقاد أنّهم مخالفين لبيعة الإمام عليه السلام[1].

وقد ارتضى هذا الرأي ابن أبي الحديد، ونسبه إلى المعتزلة في كتابه شرح نهج البلاغة[2].

وإذا تأمّلنا نصوص الباب نجد أنّ أكثر من عُرف بالتخلّف عن البيعة قد بايع الإمام عليه السلام، لكنّ بيعة بعضهم ـ نظير: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقّاص ـ لم تكن بمعنى الوفاء لقيادة الإمام؛ حيث أعلنوا صراحة عدم مرافقتهم للإمام في حروبه. كما أنّ بيعة بعض آخر منهم ـ نظير: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة ـ كانت بدوافع سياسيّة[3].

ومن هنا يمكن عدّ هؤلاء في المتخلّفين عن البيعة؛ لأنّ بيعتهم لم تكن حقيقيّة وكاملة، كما يكن عدّهم في المبايعين؛ لاشتراكهم في المراسم الرسميّة للبيعة. وبهذا يمكن الجمع بين النظريّتين.

وهنا احتمال ثالث، وهو: أنّهم تخلّفوا عن البيعة العامّة الشاملة والتي كانت في المسجد، وقد اختلقوا أعذاراً لتوجيه ذلك، لكن لمّا تمّت البيعة واستحكمت خلافة الإمام عليه السلام رغبوا في البيعة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٢٤/ ١٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٩ و ١٠.

(٣) أراد مروان أن يبايع الإمام بعد الانكسار في حرب الجمل، لكنّ الإمام ردّ ذلك، وقال في ردّه: «أوَلم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنّها كفّ يهوديّة» (نهج البلاغة: الخطبة ٧٣، الخرائج والجرائح: ١/ ١٩٧/ ٣٥).

ويؤيّد ذلك أنّ مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص جاؤوا إلى الإمام ـ بعد انتهاء البيعة العامّة ـ فبايعوه بعد نقاش.

كما يشهد له اعتراف عبد الله بن عمر وأُسامة بن زيد وسعد بن أبي وقّاص ببيعة الإمام علي عليه السلام، كما ورد في بعض النصوص.

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ من كلامه حين تخلّف عن بيعته عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقّاص، ومحمّد بن مسلمة، وحسّان بن ثابت، وأُسامة بن زيد ـ: أيّها الناس! إنّكم بايعتموني على ما بُويع عليه من كان قبلي، وإنّما الخيار إلى الناس قبل أن يبايعوا، فإذا بايعوا فلا خيار لهم. وإنّ على الإمام الإستقامة، وعلى الرعيّة التسليم. وهذه بيعة عامّة، من رغب عنها رغب عن دين الإسلام، واتّبع غير سبيل أهله، ولم تكن بيعتُكم إيّاي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً. وإنّي أُريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم، وآيم الله لَأنصحنّ للخصم، ولأُنصفنّ المظلوم.

وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأُسامة وعبد الله وحسّان بن ثابت أُمور كرهتُها، والحقّ بيني وبينهم[1].

في مروج الذهب: كان سعد وأُسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمّد بن مسلمة[2] ممّن قعد عن عليّ بن أبي طالب، وأبَوا أن يبايعوه، هم وغيرهم[3] ممّن ذكرنا من القعّاد، وذلك أنّهم قالوا: إنّها فتنة.

ومنهم من قال لعليّ: أعطِنا سيوفاً نقاتل بها معك، فإذا ضربنا بها المؤمنين لم

---

(١) الإرشاد: ١ / ٢٤٣؛ المعيار والموازنة: ١٠٥، الأخبار الطوال: ١٤٠ وفيه إلى «فلتة» وكلاهما نحوه وراجع نهج البلاغة: الخطبة ١٣٦.

(٢) في الطبعة المعتمدة: «سلمة» وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتناه كما في طبعة دار الهجرة: ٣ / ١٥.

(٣) في الطبعة المعتمدة: «هم غيرهم»، والتصحيح من طبعة دار الهجرة: ٣ / ١٥.

تعمل فيهم ونَبَتْ[١] عن أجسامهم، وإذا ضربنا بها الكافرين سَرت في أبدانهم. فأعرض عنهم عليّ، وقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٢][٣].

في تاريخ اليعقوبي: بايع الناس إلّا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة ـ وكان لسان القوم ـ فقال: يا هذا، إنّك قد وَتَرتَنا جميعاً، أمّا أنا فقتلتَ أبي صبراً يوم بدر، وأمّا سعيد فقتلتَ أباه يوم بدر ـ وكان أبوه من نور قريش ـ وأمّا مروان فشتمتَ أباه وعِبتَ على عثمان حين ضمّه إليه... فتَبايَعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا، وتعفي لنا عمّا في أيدينا، وتقتُل قتلة صاحبنا.

فغضب عليٌّ وقال: أمّا ما ذكرتَ من وتري إيّاكم، فالحقّ وَتَرَكم. وأمّا وَضعي عنكم ما أصبتُم، فليس لي أن أضع حقّ الله تعالى. وأمّا إعفائي عمّا في أيديكم، فما كان لله وللمسلمين فالعدل يَسَعُكم. وأمّا قتلي قتلةَ عثمان، فلو لزمني قتلُهم اليومَ لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنّة نبيّه، فمن ضاق عليه الحقّ فالباطل عليه أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم.

فقال مروان: بل نبايعك، ونقيم معك، فترى ونرى[٤].

في تاريخ الطبري عن عبد الله بن الحسن: لمّا قُتل عثمان بايعت الأنصار عليّاً إلّا نُفَيراً يسيراً؛ منهم حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلّد، وأبو سعيد الخدري، ومحمّد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة؛ كانوا عثمانيّة.

---

(١) نَبَا السيفُ عن الضريبة: كَلَّ ولم يَحِكْ فيها (لسان العرب: ١٥ / ٣٠١).

(٢) الأنفال: ٢٣.

(٣) مروج الذهب: ٣ / ٢٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٨؛ الفتوح: ٢ / ٤٤٢ و ٤٤٣ نحوه.

فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعة عليّ! وكانوا عثمانيّة؟!

قال: أمّا حسّان فكان شاعراً لا يُبالي ما يصنع. وأمّا زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوان وبيت المال، فلمّا حُصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصاراً لله... مرّتين:

فقال أبو أيّوب: ما تنصره إلّا أنّه أكثر لك من العِضدان. فأمّا كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مُزينة، وترك ما أخذ منهم له[1].

في وقعة صفّين عن عمر بن سعد: دخل عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقّاص والمغيرة بن شعبة مع أُناس معهم، وكانوا قد تخلّفوا عن عليّ، فدخلوا عليه، فسألوه أن يعطيهم عطاءهم ـ وقد كانوا تخلّفوا عن عليّ حين خرج إلى صفّين والجمل ـ.

فقال لهم عليّ: ما خلّفكم عنّي؟

قالوا: قُتل عثمان، ولا ندري أحلّ دمه أم لا، وقد كان أحدث أحداثاً ثمّ استتبتموه فتاب، ثمّ دخلتم في قتله حين قُتل، فلسنا ندري أصبتم أم أخطأتم! مع أنّا عارفون بفضلك ـ يا أمير المؤمنين ـ وسابقتك وهجرتك.

فقال عليّ: ألستم تعلمون أنّ الله عزّ وجلّ قد أمركم أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، فقال: ﴿**إِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ**﴾[2]؟

قال سعد: يا عليّ، أعطِني سيفاً يعرف الكافر من المؤمن؛ أخاف أن أقتل مؤمناً فأدخل النّار.

فقال لهم عليّ: ألستم تعلمون أنّ عثمان كان إماماً، بايعتموه على السمع

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٢٩، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٠٣ وفيه «العبدان» بدل «العضدان».

(٢) الحجرات: ٩.

والطاعة، فعلامَ خذلتموه إن كان محسناً!! وكيف لم تقاتِلوه إذ كان مسيئاً؟! فإن كان عثمان أصاب بما صنع فقد ظلمتم؛ إذ لم تنصروا إمامكم، وإن كان مسيئاً فقد ظلمتم؛ إذ لم تعينوا مَن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقد ظلمتم إذ لم تقوموا بيننا وبين عدوّنا بما أمركم الله به، فإنّه قال: ﴿**قَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ**﴾.

فردّهم ولم يُعطِهم شيئاً[١].

في المستدرك على الصحيحين ـ بعد ذكر الأخبار الواردة في بيعة الناس أمير المؤمنين عليه السلام ـ: أمّا قول من زعم أنّ عبد الله بن عمر وأبا مسعود الأنصاري وسعد بن أبي وقّاص وأبا موسى الأشعري ومحمّد بن مسلمة الأنصاري وأُسامة بن زيد قعدوا عن بيعته، فإنّ هذا قول من يجحد حقيقة تلك الأحوال....

[ثمّ قال ـ بعد أن ذكر أسباب اعتزالهم]: فبهذه الأسباب وما جانَسها كان اعتزال من اعتزل عن القتال مع عليّ رضي الله عنه، وقتال من قاتله[٢].

في الجمل عن أبي مخنف: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا همّ بالمسير إلى البصرة، بلغه عن سعد بن أبي وقّاص وابن مسلمة وأُسامة بن زيد وابن عمر تثاقل عنه، فبعث إليهم. فلمّا حضروا قال لهم: قد بلغني عنكم هناتٍ كرهتُها، وأنا لا أُكرهكم على المسير معي، ألستم على بيعتي؟

قالوا: بلى.

قال: فما الذي يُقعدكم عن صحبتي؟

فقال له سعد: إنّي أكره الخروج في هذا الحرب؛ لئلّا أُصيب مؤمناً، فإن أعطيتَني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر، قاتلتُ معك!

---

(١) وقعة صفّين: ٥٥١.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٢٤/ ٤٥٩٦ و ص ١٢٧/ ٤٦٠٥.

وقال له أُسامة : أنت أعزّ الخلق عليَّ ، ولكنّي عاهدتُ الله أن لا أُقاتل أهل لا إله إلّا الله . . .

وقال عبد الله بن عمر : لست أعرف في هذا الحرب شيئاً ، أسألك ألّا تحملني على ما لا أعرف .

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : ليس كلّ مفتون معاتب ، ألستُم على بيعتي ؟ قالوا : بلى .

قال : إنصرفوا فسيُغني الله تعالى عنكم[١] .

في تاريخ الطبري عن أبي المليح ـ في ذكر بعض ما جرى عند بيعة الإمام عليه السلام ـ : خرج عليّ إلى المسجد ، فصعد المنبر وعليه إزار وطاق وعمامة خزّ ونعلاه في يده ، متوكّئاً على قوس ، فبايعه الناس .

وجاؤوا بسعد ، فقال عليّ : بايع .

قال : لا أُبايع حتى يبايع الناس ، والله ما عليك منّي بأس .

قال : خلّوا سبيله .

وجاؤوا بابن عمر ، فقال : بايع .

قال : لا أُبايع حتى يبايع الناس .

قال : ائتني بحميل[٢] .

قال : لا أرى حميلاً .

قال الأشتر : خلِّ عني أضرب عنقه ! قال عليّ : دعوه ؛ أنا حميلُه ، إنّك ـ ما علمتُ ـ لَسيّئ الخلق صغيراً وكبيراً[٣] .

في شرح نهج البلاغة : ذكر أبو مخنف في كتاب الجمل أنّ الأنصار والمهاجرين

---

(١) الجمل : ٩٥ .

(٢) الحميل : الكفيل (النهاية : ١ / ٤٤٢) .

(٣) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٢٨ .

إجتمعوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ليتظروا من يتولّونه أمرهم، حتى غصّ المسجد بأهله، فاتّفق رأي عمّار وأبي الهيثم بن التيّهان ورفاعة بن رافع ومالك ابن عجلان وأبي أيّوب خالد بن زيد[1] على إقعاد أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة. وكان أشدّهم تهالكاً عليه عمّار، فقال لهم: أيّها الأنصار، قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه، وأنتم على شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم، وإنّ عليّاً أولى الناس بهذا الأمر؛ لفضله، وسابقته!

فقالوا: رضينا به حينئذٍ.

وقالوا بأجمعهم لبقيّة الناس من الأنصار والمهاجرين: أيّها الناس، إنّا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله، وإنّ عليّاً من قد علمتم، وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه، ولا أولى به.

فقال الناس بأجمعهم: قد رضينا، وهو عندنا ما ذكرتم وأفضل.

وقاموا كلّهم، فأتوا عليّاً عليه السلام، فاستخرجوه من داره، وسألوه بسط يده، فقبضها، فتداكّوا عليه تداكّ الإبل الهيم على وِردها، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً، فلمّا رأى منهم ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس، وقال: إن كرهني رجلٌ واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر.

فنهض الناس معه حتى دخل المسجد، فكان أوّل من بايعه طلحة.

فقال قبيصة ابن ذؤيب الأسدي: تخوّفت أن لا يتمّ له أمرة؛ لأنّ أوّل يد بايعته شلّاء. ثمّ بايعه الزبير، وبايعه المسلمون بالمدينة، إلّا محمّد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقّاص، وكعب بن مالك، وحسّان بن ثابت، وعبد الله بن سلام.

فأمر بإحضار عبد الله بن عمر، فقال له: بايع.

---

(١) في المصدر: «يزيد»، والصحيح ما أثبتناه كما في كتب الرجال.

قال : لا أُبايع حتى يبايع جميع الناس .

فقال له عليه السلام : فأعطني جميلاً أن لا تبرح .

قال : ولا أُعطيك جميلاً .

فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا قد أمن سوطَك وسيفَك ، فدعني أضرب عنقه ! فقال : لستُ أُريد ذلك منه على كره ، خلّوا سبيله . فلمّا انصرف قال أمير المؤمنين : لقد كان صغيراً وهو سيّئ الخلق ، وهو في كبره أسوأ خلقاً .

ثمّ أُتي بسعد بن أبي وقّاص ، فقال له : بايع .

فقال : يا أبا الحسن خلّني ، فإذا لم يبقَ غيري بايعتُك ، فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً .

فقال : صدق ، خلّوا سبيله .

ثمّ بعث إلى محمّد بن مسلمة ، فلمّا أتاه قال له : بايع .

قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني إذا اختلف الناس وصاروا هكذا ـ وشبّك بين أصابعه ـ أن أخرج بسيفي فأضرب به عرض أُحد فإذا تقطّع أتيت منزلي ، فكنت فيه لا أبرحه حتى تأتيني يد خاطية ، أو منيّة قاضية .

فقال له عليه السلام : فانطلق إذاً ، فكن كما أُمرت به .

ثمّ بعث إلى أُسامة بن زيد ، فلمّا جاء قال له : بايع .

فقال : إنّي مولاك ، ولا خلاف منّي عليك ، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس . فأمره بالانصراف ، ولم يبعث إلى أحد غيره .

وقيل له : ألا تبعث إلى حسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن سلام ؟ فقال : لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا .

فأمّا أصحابنا فإنّهم يذكرون في كتبهم أنّ هؤلاء الرهط إنّما اعتذروا بما اعتذروا به لمّا ندبهم إلى الشخوص معه لحرب أصحاب الجمل ، وأنّهم لم يتخلّفوا عن البيعة ، وإنّما تخلّفوا عن الحرب .

وروى شيخنا أبو الحسين في كتاب الغرر : أنّهم لمّا اعتذروا إليه بهذه الأعذار ، قال لهم : ما كلّ مفتون يُعاتب ، أعندكم شكّ في بيعتي ؟ قالوا : لا .

قال : فإذا بايعتم فقد قاتلتم ، وأعفاهم من حضور الحرب[1] .

(١) شرح نهج البلاغة : ٤ / ٨.

عهد أميرالمؤمنين عليه السلام مع معاوية

جرأة معاوية

في وقعة صفّين: كتب معاوية [إلى الإمام عليه السلام]: من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب: أمّا بعد؛ فدع الحسد؛ فإنّك طالما لم تنتفع به، ولا تُفسد سابقة قدمك بشَره نخوتك؛ فإنّ الأعمال بخواتيمها، ولا تمحق سابقتك في حقّ مَن لا حقّ لك في حقّه، فإنّك إن تفعل لا تضرّ بذلك إلّا نفسك، ولا تمحق إلّا عملك، ولا تُبطل إلّا حجّتك. ولعمري ما مضى لك من السابقات لشبيه أن يكون ممحوقاً؛ لِمَا اجترأت عليه من سفك الدماء، وخلاف أهل الحقّ. فاقرأ سورة الفلق، وتعوّذ بالله من شرّ نفسك؛ فإنّك الحاسد إذا حسد!!![1]

في شرح نهج البلاغة عن أبي‌الحسن علي بن محمّد المدائني: فكتب إليه معاوية:

من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب:

أمّا بعد؛ فقد وقفتُ على كتابك، وقد أبيتَ على الفتن إلّا تمادياً، وإنّي لعالم أنّ الذي يدعوك إلى ذلك مصرعك الذي لا بدّ لك منه، وإن كنت موائلاً فازدد غيّاً إلى غيّك، فطالما خفّ عقلك، ومنّيت نفسك ما ليس لك، والتويت على من هو خير منك، ثمّ كانت العاقبة لغيرك، واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك، والسلام[2].

---

(١) وقعة صفّين: ١١٠؛ شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٣٣.

في شرح نهج البلاغة عن المدائني: فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد؛ فقد طال في الغيّ ما استمررت أدراجك، كما طالما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطاؤك، فتُوعِد وعيد الأسد وتروغ رَوغان الثعلب، فحتّام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية والأفاعي القاتلة! ولا تستبعدنّها فكلّ ما هو آتٍ قريب إن شاء الله، والسلام[1].

في شرح نهج البلاغة عن المدائني: فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد؛ فدعني من أساطيرك واكفف عنّي من أحاديثك، واقصر عن تقوّلك على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وافترائك من الكذب ما لم يقل، وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم، ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا أنّ ما جئت به باطل مضمحلّ، والسلام[2].

في شرح نهج البلاغة عن المدائني: فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد؛ فما أعظم الرَّين على قلبك والغطاء على بصرك! الشره من شيمتك والحسد من خليقتك، فشمّر للحرب واصبر للضرب، فوالله، ليرجعنّ الأمر إلى ما علمت، والعاقبة للمتقين. هيهات هيهات! أخطأك ما تمنّى، وهوى قلبك مع من هوى، فاربَعْ على ظَلْعِك، وقس شبرك بفترك؛ لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه، ويفصل بين أهل الشكّ علمه، والسلام[3].

في شرح نهج البلاغة عن النقيب أبي جعفر: كان معاوية يتسقّط عليّاً وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر وأنّهما غصباه حقّه، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه والرسالة يبعثها يطلب غرّته[4]؛ لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٣٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٣٤؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٨٦ / ٤٠١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٣٥.

(٤) الغِرَّة: الغَفلة (النهاية: ٣ / ٣٥٥).

إمّا مكاتبة أو مراسلة، فيجعل ذلك حجّة عليه عند أهل الشام، ويضيفه إلى ما قرّره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم، فقد كان غمصه[1] عندهم بأنّه قتل عثمان ومالأ على قتله، وأنّه قتل طلحة والزبير وأسر عائشة وأراق دماء أهل البصرة، وبقيت خصلة واحدة وهو أن يثبت عندهم أنّه يتبرّأ من أبي بكر وعمر، وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول في أمر الخلافة، وأنّهما وثبا عليها غلبة وغصباه إيّاها.

فكانت هذه الطامّة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره؛ لأنّهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلّا القليل الشاذّ من خواص الشيعة.

فلمّا كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني[2] قصد أن يُغضب عليّاً ويحرجه ويحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر وأنّه أفضل المسلمين إلى أن يخلط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في أبي بكر، فكان الجواب مُجمجماً غير بيِّن، ليس فيه تصريح بالتظليم لهما ولا التصريح ببراءتهما، وتارةً يترحّم عليهما، وتارةً يقول: أخذا حقّي وقد تركته لهما.

فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأوّل؛ ليستفزّا فيه عليّاً عليه السلام ويستخفّاه، ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلّقان به في تقبيح حاله وتهجين مذهبه.

وقال له عمرو: إنّ عليّاً عليه السلام رجل نزق تيّاه، وما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبي بكر وعمر فاكتب. فكتب كتاباً أنفذه إليه مع أبي أمامة الباهلي وهو من الصحابة بعد أن عزم على بعثته مع أبي الدرداء، ونسخة الكتاب:

من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب:

---

(١) غمصه: حقّره واستصغره ولم يره شيئاً (لسان العرب: ٧/ ٦١).

(٢) راجع: رسائل معاوية إلى الإمام في دم عثمان.

أمّا بعد ؛ فإنّ الله تعالى جدّه اصطفى محمّداً عليه السلام لرسالته واختصّه بوحيه وتأدية شريعته ، فأنقذ به من العماية وهدى به من الغواية ، ثمّ قبضه إليه رشيداً حميداً قد بلّغ الشرع ومحق الشرك وأخمد نار الإفك ، فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه ، ثمّ إنّ الله سبحانه اختصّ محمّداً عليه السلام بأصحاب أيّدوه وآزروه ونصروه ، وكانوا كما قال الله سبحانه لهم : ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1] فكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة الخليفة الأوّل ، الذي جمع الكلمة ولمّ الدعوة وقاتل أهل الردة ، ثمّ الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصّر الأمصار وأذل رقاب المشركين ، ثمّ الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملّة وطبّق الآفاق بالكلمة الحنيفيّة .

فلمّا استوثق الإسلام وضرب بجِرانه[2] عدوت عليه فبغيته الغوائل ونصبت له المكائد ، وضربت له بطن الأمر وظهره ودسَست عليه وأغريت به ، وقعدت حيث استنصرك عن نصره وسألك أن تدركه قبل أن يمزّق فما أدركته ، وما يوم المسلمين منك بواحد .

لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه ورمت إفساد أمره ، وقعدتَ في بيتك ، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخّروا عن بيعته ، ثمّ كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته ، وسررت بقتله وأظهرت الشماتة بمصابه حتى إنّك حاولت قتل ولده ؛ لأنه قتل قاتل أبيه ، ثمّ لم تكن أشدّ منك حسداً لإبن عمّك عثمان نشرت مقابحه وطويت محاسنه ، وطعنت في فقهه ثمّ في دينه ثمّ في سيرته ثمّ في عقله ، وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك حتى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يدٍ ، وما من هؤلاء إلّا من بغيت عليه وتلكّأت

---

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) الجِرَان : باطن العُنُق . ومنه حديث عائشة «حتى ضربَ الحقُّ بِجرَانِه» أي قَرَّ قَرارُه واستقام ، كما أنّ البعير إذا برَك واستراح مدّ عُنُقَه على الأرض (النهاية : ١ / ٢٦٣) .

في بيعته حتى حُملت إليه قهراً تُساق بخزائم[١] الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش، ثمّ نهضت الآن تطلب الخلافة، وقتلةُ عثمان خلصاؤك وسُجراؤك والمحدقون بك، وتلك من أمانيّ النفوس وضلالات الأهواء.

قدع اللجاج والعبث جانباً وادفع إلينا قتلة عثمان، وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتّفقوا على من هو لله رضاً. فلا بيعة لك في أعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبى لك عندنا، وليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف، والذي لا إله إلّا هو لأطلبنّ قتلة عثمان أين كانوا وحيث كانوا حتى أقتلهم أو تلتحق روحي بالله.

فأمّا ما لا تزال تمنّ به من سابقتك وجهادك فإنّي وجدت الله سبحانه يقول: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[٢] ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعملها، وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ويجعله كـ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[٣].

قال النقيب أبو جعفر: فلمّا وصل هذا الكتاب إلى عليّ عليه السلام مع أبي أُمامة الباهلي، كلّم أبا أُمامة بنحو ممّا كلّم به أبا مسلم الخولاني وكتب معه هذا الجواب.

قال النقيب: وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش، لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم وليس في ذلك هذه اللفظة وإنّما فيه: «حسدت الخلفاء وبغيت عليهم عرفنا ذلك من نظرك الشَّزْر[٤] وقولك

---

(١) الخِزَام: جمع خِزامة، وهي حَلقة من شعر تُجعل في أحد جانبي مَنخِرَي البعير (النهاية: ٢/ ٢٩).

(٢) الحجرات: ١٧.

(٣) البقرة: ٢٦٤.

(٤) الشَّزْر: النظر عن اليمين والشمال، وليس بمستقيم الطريقة. وقيل: هو النَّظرُ بمؤخر العين،

الهُجْر[١] وتنفّسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء».

قال: وإنّما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين، والمشهور عندهم كتاب أبي مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه، والصحيح أنّها في كتاب أبي أُمامة، ألا تراها عادت في جوابه؟ ولو كانت في كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه[٢].

= وأكثرُ ما يكون النَّظرُ الشزْرُ في حال الغضَب وإلى الأعدَاء (النهاية: ٢ / ٤٧٠).

(١) أَهْجَر في مَنْطقه يُهْجِرُ إهْجاراً إذا أفْحَش، وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لاينبغي. والاسم: الهُجْر، بالضم. وهَجَرَيَهْجُر هَجْراً، بالفتح، إذا خلط في كلامه، وإذا هذى (النهاية: ٥ / ٢٤٥).

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٨٤؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٦٠.

بيان أمير المؤمنين لحقيقة معاوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب ـ : أمّا بعد؛ فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمّداً صلى الله عليه وآله لدينه وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً، إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا ونعمته علينا في نبيّنا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هَجَر أو داعي مُسدِّده إلى النِّضال.

وزعمت أنّ أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كلّه، وإن نقص لم يلحقك ثلمه. وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم. هيهات لقد حَنَّ قِدْحٌ ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

ألا تربَع ـ أيّها الإنسان ـ على ظَلْعِك، وتعرف قصور ذَرْعك؟ وتتأخّر حيث أخّرك القدر؟ فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر، وإنّك لذَهّاب في التيهِ، روّاغ عن القصد.

ألا ترى ـ غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أُحدِّث ـ أنّ قوماً استُشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار ـ ولكلّ فضل ـ حتى إذا استُشهد شهيدنا قيل: سيّد الشهداء، وخصّه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه.

أوَلا ترى أنّ قوماً قُطعت أيديهم في سبيل الله ـ ولكلّ فضل ـ حتى إذا فُعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: الطيّار في الجنّة وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله

عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجّها آذان السامعين ، فدعْ عنك من مالت به الرمية ؛ فإنّا صنائع ربّنا ، والناس بعدُ صنائع لنا . لم يمنعنا قديم عزّنا ولا عادي طَوْلنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا ، فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ، ولستم هناك .

وأنّى يكون ذلك ومنّا النبيّ ومنكم المكذِّب ، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النّار ، ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب في كثير ممّا لنا وعليكم ؛ فإسلامنا قد سُمع ، وجاهليّتنا لا تُدفع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا وهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فنحن مرّة أولى بالقرابة ، وتارة أولى بالطاعة . ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم ، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم .

وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت ، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك :

وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارُها

وقلت إنّي كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أُبايع ، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت ، وأن تفضح فافتضحت ! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ، ولا مرتاباً بيقينه . وهذه حجّتي إلى

---

(١) الأنفال : ٧٥.

(٢) آل عمران : ٦٨.

غيرك قصدها، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها.

ثمّ ذكرت ماكان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لِرَحِمِك منه، فأيّناكان أعدى له وأهدى إلى مَقاتله. أمَن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه، أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟

كلا والله لـ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له فرُبَّ ملوم لا ذنب له:

وقد يستفيد الظِّنَّة المتنصِّحُ.

وما أردت إلّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

وذكرت أنّه ليس لي ولأصحابي عندك إلّا السيف فلقد أضحكتَ بعد استعبار! متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، وبالسيف مُخَوَّفين؟!

فـ«لَبِّثْ قليلاً يلحقِ الهيجا حَمَل»

فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقلٌ نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديدٌ زحامُهم، ساطع قَتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم، وقد صَحِبَتْهم ذرّيّةٌ بدريّةٌ وسيوف هاشميّة، قد عَرَفْتَ مواقع نِصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[2][3].

---

(١) الأحزاب: ١٨.

(٢) هود: ٨٣.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٢٨، الاحتجاج: ١/ ٤١٧/ ٩٠، بحار الأنوار: ٣٣/ ٥٧/ ٣٩٨ وراجع =

استغلال معاوية لدم عثمان

في الكامل للمبرّد: كتب [معاوية] إلى عليّ رضي الله عنه:

من معاوية بن صخر إلى عليّ بن أبي طالب:

أمّا بعد؛ فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريءٌ من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنّك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذّلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلّا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين.

ولعمري ما حجّتك عليَّ كحجّتك على طلحة والزبير، لأنّهما بايعاك ولم أبايعك. وما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة؛ لأنّ أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام. وأمّا شرفك في الإسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعك من قريش فلست أدفعه[1].

في وقعة صفّين عن أبي ورق: إنّ أبا مسلم الخولاني قدم إلى معاوية في أُناس من

= الفتوح: ٢ / ٥٣٤ ـ ٥٣٧.

قال ابن أبي الحديد: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت: أرى هذا الجواب منطبقاً على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى عليّ عليه السلام، فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الذي ذكره أرباب السيرة، وأورده نصر بن مزاحم في وقعة صفّين إذاً غير صحيح، وإن كان ذلك الجواب فهذا الجواب إذاً غير صحيح ولا ثابت؛ فقال لي: بل كلاهما ثابت مرويّ (شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٨٤ وراجع وقعة صفّين: ٨٨).

(١) الكامل للمبرّد: ١ / ٤٢٣، شرح نهج البلاغة: ٣ / ٨٨، العقد الفريد: ٣ / ٣٢٩، المناقب للخوارزمي: ٢٠٣ / ٢٤٠، الإمامة والسياسة: ١ / ١٢١ والثلاثة الأخيرة نحوه؛ بحار الأنوار: ٣٢ / ٣٩٤ / ٣٦٥.

قرّاء أهل الشام، قبل مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفّين، فقالوا له: يا معاوية علام تقاتل عليّاً، وليس لك مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته؟ قال لهم: ما أُقاتل عليّاً وأنا أدّعي أنّ لي في الإسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته، ولكن خبّروني عنكم؛ ألستم تعلمون أنّ عثمان قُتل مظلوماً؟ قالوا: بلى. قال: فليَدَعْ إلينا قتلته فنقتلهم به، ولا قتال بيننا وبينه. قالوا: فاكتب إليه كتاباً يأتيه به بعضنا. فكتب إلى عليّ هذا الكتاب مع أبي مسلم الخولاني....

من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب: سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد؛ فإنّ الله اصطفى محمّداً بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه، واجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام؛ فكان أفضلهم في إسلامه، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده، وخليفة خليفته، والثالث الخليفة المظلوم عثمان، فكلّهم حسدتَ، وعلى كلّهم بغيتَ. عرفنا ذلك في نظرك الشَّزْر، وفي قولك الهجر، وفي تنفسّك الصُّعَداء، وفي إبطائك عن الخلفاء، تقاد إلى كلّ منهم كما يقاد الفحل المخشوش[1] حتى تبايع وأنت كاره.

ثمّ لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمّك عثمان، وكان أحقَّهم ألّا تفعل به ذلك في قرابته وصهره؛ فقطعت رحمه، وقبّحت محاسنه، وألّبت الناس عليه، وبطنت وظهرت، حتى ضربَتْ إليه آباط الإبل، وقِيدت إليه الخيل العِراب، وحُمل عليه السلاح في حرم رسول الله، فقُتل معك في المحلّة وأنت تسمع في داره الهائعة، لا تردع الظنّ والتُّهَمة عن نفسك فيه بقول ولا فعل.

---

(١) هو الذي جُعل في أنفه الخِشاش؛ وهو عُوَيد يُجعل في أنف البعير يشدُّ به الزِّمام؛ ليكون أسرع لانقياده (النهاية: ٢ / ٣٤ وص ٣٣).

فأُقسم صادقاً أن لو قمتَ فيما كان من أمره مقاماً واحداً تُنَهْنِه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً، ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه.

وأُخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظَنين[1]: إيواؤك قتلة عثمان، فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك. وقد ذُكِر لي أنّك تَتَصَلَّلُ من دمه، فإن كنت صادقاً فأمكِنّا من قتلته نقتلهم به، ونحن أسرع الناس إليك. وإلّا فإنّه فليس لك ولا لأصحابكَ إلّا السيف.

والذي لا إله إلّا هو لنطلبنّ قتلة عثمان في الجبال والرمال، والبرّ والبحر، حتى يقتلهم الله، أو لتلحقنّ أرواحنا بالله. والسلام[2].

في شرح نهج البلاغة ـ في ذكر كتابٍ كتبه معاوية إلى الإمام عليه السلام ـ : من معاوية ابن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب:

أمّا بعد؛ فإنّا بني عبد مناف لم نزل نَنْزِع من قَلِيب واحد، ونجري في حلبة واحدة ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائمنا على قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفة، وأُلفَتُنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرم العرق، ويحوينا شرف النِّجار[3]، ويحنو قويّنا على ضعيفنا، ويواسي غنيّنا فقيرنا، قد خلصت قلوبنا من وغل الحسد، وطهرت أنفسنا من خبث النيّة.

فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الإدهان في أمر ابن عمّك والحسد له ونصرة الناس عليه، حتى قتل بمشهد منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد، فليتك أظهرت نصره حيث أسررت خبره، فكنت كالمتعلّق بين الناس بعذر وإن ضعف،

---

(١) من الظِّنَّة: الشكّ والتهمة (النهاية: ٣/ ١٦٣).

(٢) وقعة صفّين: ٨٥، بحار الأنوار: ٣٣/ ١٠٨/ ٤٠٨؛ شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٧٣، المناقب للخوارزمي: ٢٥٠ نحوه.

(٣) أي الأصل والحسب (لسان العرب: ٥/ ١٩٣).

والمتبرّئ من دمه بدَفع وإن وهن ولكنّك جلست في دارك تدسّ إليه الدواهي، وترسل إليه الأفاعي، حتى إذا قضيت وطرك منه أظهرت شماتة، وأبديت طلاقة، وحسرت للأمر عن ساعدك، وشمّرت عن ساقك، ودعوت الناس إلى نفسك، وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك.

ثمّ كان منك بعد ما كان من قتلك شيخي المسلمين أبي محمّد طلحة، وأبي عبد الله الزبير، وهما من الموعودين بالجنّة والمبشَّر قاتل أحدهما بالنار في الآخرة. هذا إلى تشريدك بأُمّ المؤمنين عائشة، وإحلالها محلّ الهون متبذّلة بين أيدي الأعراب وفسقة أهل الكوفة، فمن بين مشهر لها، وبين شامت بها، وبين ساخر منها، ترى ابن عمّك كان بهذه لو رآه راضياً أم كان يكون عليك ساخطاً، ولك عنه زاجراً! أن تؤذي أهله، وتُشَرّد بحليلته، وتسفك دماء أهل ملّته.

ثمّ تركك دار الهجرة التي قال رسول الله ﷺ عنها: «إنّ المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكيرُ خبث الحديد» فلعمري لقد صحّ وعده، وصدق قوله، ولقد نفت خبثها، وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها، فأقمتَ بين المِصْرين، وبعدت عن بركة الحرمين، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة، وبمجاورة الخورْنق والحيرة عوضاً عن مجاورة خاتم النبوّة، ومن قبل ذلك ما عبتَ خليفتَي رسول الله ﷺ أيّام حياتهما، فقعدت عنهما، وألّبتَ عليهما، وامتنعت من بيعتهما، ورمت أمراً لم يرَك الله تعالى له أهلاً، ورقِيت سُلّماً وعراً وحاولت مقاماً دحضاً، وادّعيت ما لم تجد عليه ناصراً.

ولعمري لو وَليتها حينئذٍ لما ازدادت إلّا فساداً واضطراباً، ولا أعقبت ولايتكها إلّا انتشاراً وارتداداً؛ لأنّك الشامخ بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده، وها أنا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار تحفّهم سيوف شاميّة، ورماح قحطانيّة، حتى يحاكموك إلى الله.

فانظر لنفسك وللمسلمين، وادفع إليَّ قتلة عثمان؛ فإنّهم خاصّتك وخلصاؤك

والمحدقون بك، فإن أبيت إلّا سلوك سبيل اللجاج والإصرار على الغيّ والضلال فاعلم أنّ هذه الآية إنّما نزلت فيك وفي أهل العراق معك: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1].

(١) النحل: ١١٢. شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٢٥١؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٨٩ / ٤٠٢.

توضيح الحال بمقتل عثمان

من كتاب له إلى معاوية ـ: من عليّ إلى معاوية بن صخر:

أمّا بعد؛ فقد أتاني كتاب امرئ ليس له نظر يهديه، ولا قائد يُرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده فاتّبعه.

زعمت أنّه أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما كنتُ إلّا رجلاً من المهاجرين؛ أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا. وما كان الله ليجمعهم على ضلالة، ولا ليضربهم بالعمى، وما أمرت فيلزمني خطيئة الأمر، ولا قتلت فيجب عليّ القصاص.

وأمّا قولك إنّ أهل الشام هم الحكّام على أهل الحجاز، فهات رجلاً من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحلّ له الخلافة. فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأنصار، وإلّا أتيتك به من قريش الحجاز.

وأمّا قولك: ادفع إلينا قتلة عثمان، فما أنت وعثمان؟ إنّما أنت رجل من بني أميّة، وبنو عثمان أولى بذلك منك. فإن زعمت أنّك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي، ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على المحجّة.

وأمّا تمييزك بين الشام والبصرة وبين طلحة والزبير فلعمري ما الأمر فيما هناك إلّا واحد؛ لأنّها بيعة عامّة لا يُثنى فيها النظر، ولا يُستأنف فيها الخيار.

وأمّا ولوغك بي في أمر عثمان فما قلت ذلك عن حقّ العيان، ولا يقين الخبر.

وأمّا فضلي في الإسلام وقرابتي من النبيّ صلى الله عليه وآله وشرفي في قريش فلعمري لو

استطعتَ دفع ذلك لدفعته [١].

من كتاب له إلى معاوية ـ : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

أمّا بعد ؛ فإنّ أخا خولان قدم عليَّ بكتاب منك تذكر فيه محمّداً صلى الله عليه وآله ، وما أنعم الله عليه به من الهدى والوحي . والحمد لله الذي صدقه الوعد ، وتمّم له النصر ، ومكّن له في البلاد ، وأظهره على أهل العداء والشنآن من قومه الذين وثبوا به ، وشنفوا له ، وأظهروا له التكذيب ، وبارزوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراجه وعلى إخراج أصحابه وأهله ، وألّبوا عليه العرب ، وجامعوهم على حربه ، وجهدوا في أمره كلّ الجهد ، وقلّبوا له الأُمور حتى ظهر أمر الله وهم كارهون .

وكان أشدّ الناس عليه ألبةً أُسرته ، والأدنى فالأدنى من قومه إلّا من عصمه الله .

يا بن هند ! فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ! ولقد قدمت فأفحشت ؛ إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى في نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وفينا ، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هَجَر ، أو كداعي مسدِّده إلى النِّضال .

وذكرت أنّ الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم ـ زعمتَ ـ في الإسلام ، وأنصحهم لله ورسوله الخليفة ، وخليفة الخليفة . ولعمري إنّ مكانهما من الإسلام لعظيم ، وإنّ المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد . رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء .

وذكرت أنّ عثمان كان في الفضل ثالثاً ؛ فإن يكن عثمان محسناً فسيجزيه الله بإحسانه ، وإن يك مسيئاً فسيلقى ربّاً غفوراً لا يتعاظمه ذنب أن يغفره .

---

(١) وقعة صفّين : ٥٧ ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٣٧٩ ؛ شرح نهج البلاغة : ٣ / ٨٩ نحوه وراجع المناقب للخوارزمي : ٢٠٤ .

ولعمر الله إنّي لأرجو ـ إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ورسوله ـ أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر.

إنّ محمّداً ﷺ لمّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنّا ـ أهلَ البيت ـ أوّل من آمن به، وصدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالاً مجرَّمة، وما يَعبد الله في رَبعٍ ساكن من العرب غيرنا، فأراد قومنا قتل نبيّنا، واجتياح أصلنا، وهمُّوا بنا الهمومَ، وفعلوا بنا الأفاعيل؛ فمنعونا المِيرةَ، وأمسكوا عنّا العَذْب، وأحلسونا الخوف[1]، وجعلوا علينا الأرصاد والعيون، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتى ندفع النبيّ ﷺ فيقتلوه ويُمثّلوا به. فلم نكن نأمن فيهم إلّا من موسم إلى موسم، فعزم الله لنا على منعه، والذبّ عن حوزته، والرمي من وراء حرمته، والقيام بأسيافنا دونه، في ساعات الخوف بالليل والنهار، فمؤمننا يرجو بذلك الثواب، وكافرنا يحامي به عن الأصل.

فأمّا من أسلم من قريش بعدُ فإنّهم ممّا نحن فيه أخلياء؛ فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه؛ فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن. فكان ذلك ما شاء الله أن يكون.

ثمّ أمر الله رسوله بالهجرة، وأذِن له بعد ذلك في قتال المشركين، فكان إذا احمرّ البأس ودُعِيَت نَزالِ أقام أهل بيته فاستقدموا، فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنّة والسيوف، فقُتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، وجعفر وزيد يوم مؤتة، وأراد لِلهِ مَن لو شئتُ ذكرت اسمه مثلَ الذي أرادوا من الشهادة مع النبيّ ﷺ غير مرّة، إلّا أنّ آجالهم عُجّلت، ومنيّته أُخّرت. والله مولي الإحسان إليهم، والمنّان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات. فما سمعت بأحد ولا رأيت فيهم من هو أنصح لله

---

(١) أي ألزموناه ولم يفارقنا (انظر النهاية: ١/ ٤٢٤).

في طاعة رسوله ، ولا أطوع لرسوله في طاعة ربّه ، ولا أصبر على اللأْواء والضرّاء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبيّ صلى الله عليه وآله من هؤلاء النفر الذين سمّيتُ لك . وفي المهاجرين خير كثير نعرفه ، جزاهم الله بأحسن أعمالهم !

وذكرتَ حسدي الخلفاء ، وإبطائي عنهم ، وبغيي عليهم ؛ فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون ، وأمّا الإبطاء عنهم والكراهة لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس ، لأنّ الله جلّ ذكره لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله قالت قريش : منّا أمير ، وقالت الأنصار : منّا أمير . فقالت قريش : منّا محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنحن أحقّ بذلك الأمر ، فعرفت ذلك الأنصار ، فسلّمت لهم الولاية والسلطان . فإذا استحقّوها بمحمّد صلى الله عليه وآله دون الأنصار فإنّ أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله أحقّ بها منهم . وإلّا فإنّ الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً ، فلا أدري أصحابي سَلموا من أن يكونوا حقّي أخذوا ، أو الأنصار ظلموا ، بل عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ ، وقد تركته لهم ، تجاوزَ الله عنهم !

وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمَه ، وتأليبي عليه ؛ فإنّ عثمان عمل ما قد بلغك ، فصنع الناس به ما قد رأيت وقد علمتَ أنّي كنت في عزلة عنه ، إلّا أن تتجنّى ، فتجنّ ما بدا لك .

وأمّا ما ذكرت من أمر قتلة عثمان ؛ فإنّي نظرت في هذا الأمر ، وضربت أنفه وعينيه ، فلم أرَ دفعهم إليك ولا إلى غيرك .

ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك ، ولا يكلِّفونك أن تطلبهم في برّ ولا بحر ، ولا جبل ولا سهل .

وقد كان أبوك أتاني حين ولي الناسَ أبا بكر فقال : أنت أحقّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله بهذا الأمر ، وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك . ابسُط يدك أُبايعْك ، فلم أفعل وأنت تعلم أنّ أباك قد كان قال ذلك وأراده حتى كنت أنا الذي أبيتُ ، لقرب عهد الناس بالكفر ، مخافة الفرقة بين أهل الإسلام . فأبوك كان أعرف بحقّي منك . فإن تعرف من حقّي ما كان يعرف أبوك تُصِبْ رشدك ، وإن لم تفعل فسيُغني الله

عنك والسلام[١].

من كتاب له إلى معاوية جواباً ـ : أمّا بعد ؛ فإنّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة ، ففرّق بيننا وبينكم أمسِ أنّا آمنا وكفرتم ، واليوم أنّا استقمنا وفُتِنتم . وما أسلم مسلمكم إلّا كَرهاً ، وبعد أن كان أنف الإسلام كلّه لرسول الله ﷺ حِزباً .

وذكرت أنّي قتلت طلحة والزبير ، وشرّدت بعائشة ونزلت بين المِصرين ، وذلك أمر غبتَ عنه فلا عليك ، ولا العذر فيه إليك .

وذكرت أنّك زائري في المهاجرين والأنصار ، وقد انقطعت الهجرة يوم أُسِر أخوك ، فإن كان فيك عَجَل فاسْتَرْفِهْ ؛ فإنّي إن أزُرْكَ فذلك جدير أن يكون الله إنّما بعثني إليك للنقمة منك ! وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد :

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين أغوار وجُلْمودِ

وعندي السيف الذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد . وإنّك والله ـ ما علمتُ ـ الأغلفُ القلبِ ، المقاربُ العقل ، والأولى أن يقال لك : إنّك رقيت سُلَّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك ، لأنّك نشدت غير ضالّتك ، ورعيت غير سائمتك ، وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه ، فما أبعد قولك من فعلك ! وقريبٌ ما أشبهتَ[٢] من أعمام وأخوال ! حملَتْهم الشقاوة وتمنّي الباطل على الجحود بمحمّد ﷺ ، فصُرِعوا مصارعَهم حيث علمتَ ، لم يدفعوا عظيماً ، ولم يمنعوا حريماً ، بوقع سيوفٍ ما خلا منها الوغَى ، ولم تماشِها الهُوَيْنى[٣] .

وقد أكثرتَ في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثمّ حاكم القوم إليّ

---

(١) وقعة صفّين : ٨٨ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ١١٠ / ٤٠٨ ؛ شرح نهج البلاغة : ١٥ / ٧٦ ، المناقب للخوارزمي : ٢٥٢ نحوه وكلّها عن أبي ورق وراجع نهج البلاغة : الكتاب ٢٨ .

(٢) ما : مصدرية ؛ أي وقريب شبهك (شرح نهج البلاغه : ١٨ / ٢٠) .

(٣) أي لم تصحبها ، يصفها بالسرعة والمضيّ في الرؤوس والأعناق (شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٢٠) .

أحملْك وإيّاهم على كتاب الله تعالى . وأمّا تلك التي تريد[١] فإنّها خدعة الصبي عن اللبن في أوّل الفصال ، والسلام لأهله[٢] .

من كتاب له إلى معاوية ـ : أمّا بعد ؛ فانّ الدنيا حلوة خَضِرة ، ذات زينة وبهجة ، لم يصبُ اليها أحدٌ إلّا وشغلته بزينتها عمّا هو أنفع له منها ، وبالآخرة أُمِرْنا ، وعليها حُثِثْنا ؛ فدعْ يا معاوية ما يفنى ، واعمل لما يبقى ، واحذر الموت الذي إليه مصيرك ، والحساب الذي إليه عاقبتك ، واعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره ، ووفّقه لطاعته ، وإذا أراد الله بعبد سوءاً أغراه بالدنيا ، وأنساه الآخرة وبسط له أمله ، وعاقه عمّا فيه صلاحه .

وقد وصلني كتابك ، فوجدتك ترمي غير غرضك ، وتنشد غير ضالّتك وتخبط في عماية ، وتتيه في ضلالة ، وتعتصم بغير حجّة ، وتلوذ بأضعف شبهة .

فأمّا سؤالك المتاركة والإقرار لك على الشام ؛ فلو كنت فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمسِ .

وأمّا قولك إنّ عمر ولّاكه فقد عزل من كان ولّاه صاحبه ، وعزل عثمان من كان عمر ولّاه ، ولم يُنصّب للناس إمام إلّا ليرى من صلاح الأُمّة إماماً قد كان ظهر لمن قبله ، أو أُخفي عنهم عيبه ، والأمر يحدث بعده الأمر ، ولكلّ والٍ رأي واجتهاد .

فسبحان الله ! ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة ، والحيرة المتَّبعة مع تضييع الحقائق واطّراح الوثائق التي هي لله تعالى طلبة ، وعلى عباده حجّة فأمّا إكثارك الحِجاج على عثمان وقتلته فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك ، وخذلته حيث كان النصر له ، والسلام[٣] .

---

(١) قيل : إنّه يريد التعلّق بهذه الشبهة ؛ وهي قَتَلة عثمان . وقيل : أراد به ما كان معاوية يكرّر طلبه من أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أن يقرّه على الشام وحده ، ولا يكلّفه البيعة (شرح نهج البلاغة : ١٨ / ٢١) .

(٢) نهج البلاغة : الكتاب ٦٤ ، الاحتجاج : ١ / ٤٢٦ / ٩١ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٩١ / ٤٠٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٥٣ ؛ نهج البلاغة : الكتاب ٣٧ ، الاحتجاج : ١ / ٤٢٨ / ٩٢ وفيهما من

من كتاب له إلى معاوية ـ : بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد ؛ فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ؛ لأنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يردّ ، وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل فسمَّوه إماماً ، كان ذلك لله رضى ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين ، وولّاه الله ما تولّى ويُصليه جهنّم وساءت مصيراً .

وإنّ طلحة والزبير بايعاني ، ثمّ نقضا بيعتي ، وكان نقضهما كردّهما ، فجاهدتهما على ذلك ، حتى جاء الحقّ ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ؛ فإنّ أحبّ الأُمور إليَّ فيك العافية ، إلّا أن تتعرّض للبلاء ؛ فإن تعرّضت له قاتلتك ، واستعنت الله عليك .

وقد أكثرتَ في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثمّ حاكمِ القوم إليَّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله .

فأمّا تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن ، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ قريش من دم عثمان .

واعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى ، وقد أرسلت إليك وإلى من قِبَلك : جرير بن عبد الله ؛ وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ، ولا قوّة إلّا بالله[1] .

= «فسبحان الله ...» ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٩٧ / ٤٠٣ .

(١) وقعة صفّين : ٢٩ ؛ تاريخ دمشق : ٥٩ / ١٢٨ كلاهما عن عامر الشعبي ، العقد الفريد : ٣ / ٣٢٩ ، الأخبار الطوال : ١٥٧ نحوه إلى «فخدعة الصبي عن اللبن» ، شرح نهج البلاغة : ٣ / ٧٥ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١١٣ وراجع نهج البلاغة : الكتاب ٦٤ والفتوح : ٢ / ٥٠٦ .

بيان اعتداءات معاوية

غارة النعمان بن بشير

في الكامل في التاريخ : في هذه السنة [٣٩ هـ] فرّق معاوية جيوشه في العراق في أطراف عليّ ، فوجّه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر ، وفيها : مالك ابن كعب مسلحة لعليّ في ألف رجل ، وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة ولم يبقَ معه إلّا مائة رجل ، فلمّا سمع بالنعمان كتب إلى أمير المؤمنين يخبره ويستمدّه .

فخطب عليّ الناس ، وأمرهم بالخروج إليه ، فتثاقلوا .

وواقع مالك النعمانَ وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه ، وكتب مالك إلى مخنف بن سليم يستعينه ، وهو قريب منه ، واقتتل مالك والنعمان أشدّ قتال ، فوجّه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً ، فانتهوا إلى مالك وقد كسروا جفون سيوفهم واستقتلوا ، فلمّا رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء ، وظنّوا أنّ لهم مدداً ، وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر .

ولمّا تثاقل أهل الكوفة عن الخروج إلى مالك ، صعد عليّ المنبر فخطبهم ، ثمّ قال :

يا أهل الكوفة ! كلّما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلّكم انجحر كلّ امرئ منكم في بيته ، وأغلق عليه بابه انجحار الضبّ في جحره ، والضبع في وجارها ، المغرور من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا

إخوان عند النجاء! إنّا لله وإنّا إليه راجعون! ماذا مُنيتُ به منكم؟ عُميٌ لا يبصرون، وبُكمٌ لا ينطقون، وصُمٌّ لا يسمعون! إنّا لله وإنّا إليه راجعون[١].

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في استنفار أهل الكوفة بعد غارة النعمان بن بشير ـ : يا أهل الكوفة! المنسر[٢] من مناسر أهل الشام، إذا أظلّ عليكم أغلقتم أبوابكم، وانجحرتم في بيوتكم انجحار الضبّة في جحرها، والضبع في وجارها، الذليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أفٍّ لكم! لقد لقيت منكم ترحاً، ويحكم! يوماً أُناجيكم ويوماً أُناديكم، فلا أُجاب عند النداء ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا والله مُنيت بكم، صُمٌّ لا تسمعون، بُكمٌ لا تنطقون، عُميٌ لا تبصرون، فالحمد لله ربّ العالمين! ويحكم! أُخرجوا إلى أخيكم مالك بن كعب، فإنّ النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير، فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ الله يقطع بكم من الظالمين طرفاً! ثمّ نزل [illegible]

فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم، فأمرهم أن ينهضوا ويحثّوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً[٣].

غارة سفيان بن عوف

في الكامل في التاريخ: وجّه معاوية في هذه السنة [٣٩ هـ] أيضاً سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل، وأمره أن يأتي هيت فيقطعها، ثمّ يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها.

فأتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثمّ أتى الأنبار وفيها مسلحة لعليّ تكون

(١) الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٢٥، تاريخ الطبري: ٥ / ١٣٣، البداية والنهاية: ٧ / ٣٢٠؛ الغارات: ٢ / ٤٤٧ ـ ٤٥٧ كلّها نحوه وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ونهج البلاغة: الخطبة ٦٩.

(٢) المَنْسِر: القطعة من الجَيش، تَمرُّ قدّامَ الجيش الكبير (النهاية: ٥ / ٤٧).

(٣) الغارات: ٢ / ٤٥١ وراجع نهج البلاغة: الخطبة ٦٩.

خمسمائة رجل وقد تفرّقوا ولم يبق منهم إلّا مائتا رجل ، وكان سبب تفرّقهم أنّه كان عليهم كميل بن زياد ، فبلغه أنّ قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار إليهم بغير أمر عليّ .

فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها ، فأغضب ذلك عليّاً على كميل ، فكتب إليه ينكر ذلك عليه . وطمع سفيان في أصحاب عليّ لقلّتهم فقاتلهم ، فصبر أصحاب عليّ ثمّ قُتل صاحبهم ، وهو أشرس بن حسان البكري ، وثلاثون رجلاً ، واحتملوا ما في الأنبار من أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية . وبلغ الخبر عليّاً فأرسل في طلبهم فلم يدركوا[1] .

في تاريخ اليعقوبي : أغار سفيان بن عوف على الأنبار ، فقتل أشرس بن حسان البكري ، فأتبعه عليّ سعيد بن قيس ، فلمّا أحسّ به انصرف مولّياً ، وتبعه سعيد إلى عانات فلم يلحقه[2] .

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ لمّا بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار[3] ، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة فأدركه الناس ، وقالوا : يا أمير المؤمنين نحن

---

(١) الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٢٥ ، تاريخ الطبري : ٥ / ١٣٤ ، البداية والنهاية : ٧ / ٣٢٠ وزاد في آخرهما «بلغ الخبر عليّاً عليه السلام فخرج حتى أتى النُّخَيلة ، فقال له الناس : نحن نكفيك ، قال : ما تكفونني ولا أنفسكم ، وسرّح سعيد بن قيس في أثر القوم ، فخرج في طلبهم حتى جاز هيت ، فلم يلحقهم فرجع» ، الفتوح : ٤ / ٢٢٥ كلّها نحوه وراجع أنساب الأشراف : ٣ / ٢٣١ ودعائم الإسلام : ١ / ٣٩٠ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٩٦ .

(٣) الأنبار : مدينة صغيرة كانت عامرة أيّام الساسانيّين ، وآثارها غرب بغداد على بُعد ستين كيلو متراً مشهودة . وسبب تسميتها بالأنبار هو أنّها كانت مركزاً لخزن الحنطة والشعير والتبن للجيوش ، وإلّا فإنّ الإيرانيّين كانوا يسمّونها «فيروز شاپور» .

فتحت على يد خالد بن الوليد عام (١٢ هـ) وقد اتّخذها السفّاح ـ أوّل خلفاء بني العبّاس ـ مقرّاً له مدّة من الزمان .

نكفيكهم ـ :

ما تكفونني أنفسكم ، فكيف تكفونني غيركم ؟ إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها ، وإنّني اليوم لأشكو حيف رعيّتي ، كأنّني المقود وهم القادة ، أو الموزوع وهم الوزعة[١] .

وعنهعليه السلام ـ من خطبته لأهل الكوفة بعد تحريضهم على قتال سفيان بن عوف الذي غار على الأنبار ، بعد إباء أصحابه عليهم السلام عن القتال ـ : أيّها الناس المجتمعة أبدانُهم ، المتفرّقة أهواؤهم ، ما عزّ من دعاكم ، ولا استراح من قاساكم ، كلامكم يُوهن الصمّ الصلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوّكم ، إن قلت لكم : سيروا إليهم في الحرّ ، قلتم : أمهلنا ينسلخ عنّا الحرّ ، وإن قلت لكم : سيروا إليهم في الشتاء ، قلتم : أمهلنا حتى ينسلخ عنّا البرد ، فعْلَ ذي الدَّين المَطول . من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب . أصبحت لا أُصدّق قولكم ، ولا أطمع في نصركم ، فرّق الله بيني وبينكم .

أيّ دار بعد داركم تمنعون ؟ ! ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون ؟ ! أما إنّكم ستلقَون بعدي أثَرةً يتّخذها عليكم الضُّلّال سُنّة ، وفقراً يدخل بيوتكم ، وسيفاً قاطعاً ، وتتمنّون عند ذلك أنّكم رأيتموني وقاتلتم معي وقُتلتم دوني[٢] .

وعنهعليه السلام ـ من كلام له عليه السلام في استنهاض الناس ـ : ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسرّاً وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غُزِي قوم قطّ في عقر دارهم إلّا ذلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّت عليكم الغارات ، ومُلكت عليكم الأوطان .

هذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسّان بن حسّان البكري ، وأزال

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٢٦١ ، عيون الحكم والمواعظ : ١٦٤ / ٣٤٩٠ وفيه من «إن كانت الرعايا» .

(٢) الغارات : ٢ / ٤٨٣ عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي .

خيلكم عن مَسالحها ، وقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينتزع حجلها ، وقُلْبها[١] وقلائدها ورعاثها[٢] ، ما تمنع منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام .

ثمّ انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كَلْم[٣] ، ولا أُريق لهم دم ، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان عندي به جديراً ، فيا عجباً عجباً والله يُميث القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء على باطلهم ، وتفرّقكم عن حقّكم ! فقبحاً لكم وتَرَحاً ، حين صرتم غرضاً يُرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون ، وتُغزون ولا تَغزون ، ويُعصى الله وترضَون ! فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيّام الحرّ قلتم : هذه حمارّة القيظ ، أمهِلْنا يُسَبَّخْ[٤] عنّا الحرّ ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم : هذه صَبارّة القرّ ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد ، كلّ هذا فراراً من الحرّ والقرّ ، فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون ، فأنتم والله من السيف أفرّ !

يا أشباه الرجال ولا رجال ! حُلوم الأطفال ، وعقول ربّات الحجال ، لوددت أنّي لم أرَكم ولم أعرفكم معرفةً والله جرّت ندماً ، وأعقبت ذمّاً .

قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرّعتموني نُغَبَ التَّهْمامِ[٥] أنفاساً ، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب .

لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشدّ لها مِراساً ، وأقدم فيها مقاماً منّي ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا قد ذرّفت على السّتّين ! ولكن لا رأيَ لمن لا

---

(١) القُلْب : السِّوار (النهاية : ٤ / ٩٨) .

(٢) الرَّعْث : القِرَطة ؛ وهي من حُلِيّ الأُذُن (النهاية : ٢ / ٢٣٤) .

(٣) الكَلْم : الجَرْح (النهاية : ٤ / ١٩٩) .

(٤) أي يخفّ ، وتسبّخ الحرّ : سكن وفتر (لسان العرب : ٣ / ٢٣) .

(٥) نُغَب : جمع نُغْبة ؛ أي جُرْعة (لسان العرب : ١ / ٧٦٥) والتهمام ، من الهمّ .

يُطاع إ[١].

في الأمالي للطوسي عن ربيعة بن ناجذ: لمّا وجّه معاوية بن أبي سفيان، سفيانَ ابن عوف الغامدي إلى الأنبار للغارة، بعثه في ستّة آلاف فارس، فأغار على هِيت والأنبار، وقتل المسلمين، وسبى الحريم، وعرض الناس على البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، استنفر أمير المؤمنين عليه السلام الناس، وقد كانوا تقاعدوا عنه، واجتمعوا على خذلانه، وأمر مناديه في الناس فاجتمعوا، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

أمّا بعد: أيّها الناس، فو الله لأهل مصركم في الأمصار أكثر في العرب من الأنصار، وما كانوا يوم عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يُبلِّغ رسالات الله إلّا قبيلتين صغيرٌ مولدُهما، ما هما بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثره عدداً، فلما آوَوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة، فتجرّدوا للدين، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل، وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة، وأهل مكّة واليمامة، وأهل الحَزَن وأهل السهل؛ قناةَ الدين والصبر تحت حماس الجلاد، حتى دانت لرسول الله صلى الله عليه وآله العرب، فرأى فيهم قرّة العين قبل أن يقبضه الله إليه، فأنتم في الناس أكثر من أُولئك في أهل ذلك الزمان من العرب.

فقام إليه رجل آدم طوال، فقال: ما أنت كمحمّد! ولا نحن كأُولئك الذين ذكرت؛ فلا تُكلِّفنا ما لا طاقة لنا به! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أحسِنْ مسمعاً تُحسن إجابةً، ثكلتكم الثواكل! ما تزيدونني إلّا غمّاً، هل أخبرتكم أنّي مثل محمّد صلى الله عليه وآله،

---

(١) الكافي: ٥ / ٤ / ٦ عن أبي عبد الرحمن السلمي، نهج البلاغة: الخطبة ٢٧، الغارات: ٢ / ٤٧٥ عن محمّد بن مخنف؛ البيان والتبيين: ٢ / ٥٣، أنساب الأشراف: ٣ / ٢٠١ والثلاثة الأخيرة نحوه وراجع الإرشاد: ١ / ٢٧٩.

وأنّكم مثل أنصاره، وإنّما ضربت لكم مثلاً، وأنا أرجو أن تأسَوا بهم.

ثمّ قام رجل آخر فقال: ما أحوج أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه إلى أصحاب النهروان، ثمّ تكلّم الناس من كلّ ناحية ولغطوا، فقام رجل فقال بأعلى صوته: استبان فَقْدُ الأشتر على أهل العراق؛ لو كان حيّاً لقلّ اللغط، ولعلم كلّ امرئ ما يقول.

فقال لهم أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: هبلتكم الهوابل! لأنا أوجب عليكم حقّاً من الأشتر، وهل للأشتر عليكم من الحقّ إلّا حقّ المسلم على المسلم؟ وغضب فنزل.

فقام حجر بن عديّ وسعد بن قيس، فقالا: لا يسوؤك الله يا أمير المؤمنين، مُرْنا بأمرك نتَّبْعه، فو الله العظيم ما يعظم جزعنا على أموالنا أن تفرّق، ولا على عشائرنا أن تُقتل في طاعتك، فقال لهم: تجهّزوا للسير إلى عدوّنا.

ثمّ دخل منزله عليه السلام ودخل عليه وجوه أصحابه، فقال لهم: أشيروا عليّ برجل صليب ناصح يحشر الناس من السواد، فقال سعد بن قيس: عليك يا أمير المؤمنين بالناصح الأريب الشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي، قال: نعم، ثمّ دعاه فوجّهه وسار، ولم يعُد حتى أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام [١].

غارة عبدالله بن مسعدة

في تاريخ الطبري عن عوانة: وجّه معاوية [في سنة ٣٩ هـ] أيضاً عبد الله بن مسعدة الفَزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء [٢]، وأمره أن يُصَدِّق من مرّ به

(١) الأمالي للطوسي: ١٧٣ / ٢٩٣، الغارات: ٢ / ٤٧٩؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٨٩ كلاهما نحوه.

(٢) تَيْماء: بليدة في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاجّ الشام. ولمّا سيطر رسول الله صلى الله عليه وآله على قلاع خيبر ووادي القرى رضي أهل تيماء بدفع الجزية. وفي الزمان الحاضر توجد قرية بين دمشق ومكّة تعرف بـ«تيماء» (راجع معجم البلدان: ٢ / ٦٧).

من أهل البوادي، وأن يقتل من امتنع من عطائه صدقة ماله، ثمّ يأتي مكّة والمدينة والحِجاز، يفعل ذلك، واجتمع إليه بشرٌ كثير من قومه.

فلمّا بلغ ذلك عليّاً وجّه المسيّب بن نجبة الفزاري، فسار حتى لحق ابن مسعدة بَتيماءَ فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس قتالاً شديداً، وحمل المسيّب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات، كلّ ذلك لا يلتمس قتله ويقول له: النجاءَ النجاءَ[1]!

فدخل ابن مسعدة وعامّة من معه الحصن، وهرب الباقون نحو الشام، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة، وحصره ومن كان معه المسيّب ثلاثة أيّام، ثمّ ألقى الحطب على الباب، وألقى النيران فيه، حتى احترق.

فلمّا أحسّوا بالهلاك أشرفوا على المسيّب فقالوا: يا مسيّب! قومَك! فرقّ لهم، وكرِه هلاكهم، فأمر بالنار فأُطفئت، وقال لأصحابه: قد جاءتني عيون فأخبروني أنّ جنداً قد أقبل إليكم من الشام، فانضمّوا في مكان واحد.

فخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشام، فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سِر بنا في طلبهم، فأبى ذلك عليه، فقال له: غششتَ أمير المؤمنين، وداهنت في أمرهم[2].

غارة الضحّاك بن قيس

في الغارات عن عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري: دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، وقال له: سِرْ حتى تمرَّ بناحية الكوفة، وترتفع عنها ما استطعت، فمن

---

(١) أي انجُو بنفسك (انظر النهاية: ٥ / ٢٥).

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ١٣٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٢٦، البداية والنهاية: ٧ / ٣٢٠.

وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغِرْ عليه ، وإن وجدت له مَسْلَحة[١] أو خَيلاً فأغِر عليهما ، وإذا أصبحت في بلدة فأمسِ في أُخرى ، ولا تقيمنّ لخيل بلغك أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها ، فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل .

فأقبل الضحّاك يأخذ الأموال ، ويقتل من لقي من الأعراب حتى مرّ بالثعلبيّة فأغار خيله على الحاجّ ، فأخذ أمتعتهم ، ثمّ أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي ـ وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فقتله في طريق الحاجّ عند القطقطانة[٢] وقتل معه ناساً من أصحابه .

قال أبو روق : فحدّثني أبي أنّه سمع عليّاً عليه السلام وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر : يا أهل الكوفة ! أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس ، وإلى جيوش لكم قد أُصيب منها طرف ؛ أخرجوا فقاتلوا عدوّكم وامنعوا حريمكم ، إن كنتم فاعلين .

قال : فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً ، ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال :

والله ، لوددت أنّ لي بكلّ مائة منكم رجلاً منهم ، ويَحكم أخرجوا معي ، ثمّ فِرّوا عنّي إنْ بدا لكم ، فوالله ما أكره لقاء ربّي على نيّتي وبصيرتي ، وفي ذلك رَوْح لي عظيم ، وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تُداری البِكار العَمِدة ، والثياب المتهتّرة ، كلّما خِيطت من جانب تهتّكت على صاحبها من جانب آخر ، ثمّ نزل .

فخرج يمشي حتى بلغ الغريّين[٣] ، ثمّ دعا حجر بن عديّ الكندي من خيله

---

(١) المَسْلَحة : القومُ الذين يَحفَظُون الثُّغور من العدوّ . والجمع : مسالح (النهاية : ٢ / ٣٨٨) .

(٢) القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرّية (معجم البلدان : ٤ / ٣٧٤) .

(٣) الغَرِيّان : تثنية الغريّ ، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة (معجم البلدان : ٤ / ١٩٦) .

فعقد له ثَمَّ رايةً على أربعة آلاف، ثمّ سرّحه[١].

فخرج حتى مرّ بالسَّماوة[٢] ـ وهي أرض كلب ـ فلقي بها امرأ القيس بن عديّ ابن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي أصهار الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فكانوا أدلّاءه على طريقه وعلى المياه، فلم يزل مُغِذّاً في أثر الضحّاك حتى لقيه بناحية تدمر فواقفه فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الضحّاك تسعة عشر رجلاً، وقُتل من أصحاب حجر رجلان: عبد الرحمن وعبد الله الغامدي، وحجز الليل بينهم، فمضى الضحّاك، فلمّا أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً[٣].

غارة عبدالرحمن بن قباث

في الكامل في التاريخ ـ في أحداث سنة تسع وثلاثين ـ: وفيها سيّر معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم إلى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر ـ جدّ الكرماني الذي كان بخراسان ـ وكان شبيب بنصيبين[٤]، فكتب إلى كميل بن زياد، وهو بهيتٍ، يُعلمه خبرَهم.

فسار كميل إليه نجدة له في ستّمائة فارس، فأدركوا عبد الرحمن ومعه معن ابن يزيد السلمي، فقاتلهما كميل وهزمهما، فغلب على عسكرهما، وأكثر القتل في

---

(١) سرَّحتُ فلاناً إلى موضع كذا: إذا أرسلته (لسان العرب: ٢ / ٤٧٩).

(٢) السَّمَاوَة: بادية بين الكوفة والشام قفرى (معجم البلدان: ٣ / ٢٤٥). واليوم هي مدينة من مدن العراق الجنوبيّة الواقعة على ضفاف الفرات، بين مدينتي الناصريّة والديوانيّة.

(٣) الغارات: ٢ / ٤٢١، الإرشاد: ١ / ٢٧١ نحوه إلى «من جانب آخر»؛ أنساب الأشراف: ٣ / ١٩٧ نحوه.

(٤) نَصِيبِين: مدينة عامرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام على تسعة فراسخ من سنجار. وقد بنيت هذه المدينة على أيدي الروم، وافتتحها أنوشيروان (راجع معجم البلدان: ٥ / ٢٨٨).

أهل الشام ، وأمر أنْ لا يُتبع مدبر ولا يُجهز على جريح ، وقُتل من أصحاب كميل رجلان .

وكتب إلى عليّ بالفتح فجزاه خيراً ، وأجابه جواباً حسناً ورضي عنه ، وكان ساخطاً عليه . . . .

وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلاً قد أوقع بالقوم فهنّأه بالظفر ، وأتبع الشاميّين فلم يلحقهم ، فعبر الفرات ، وبثّ خيله ، فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبكّ[١] .

فوجّه معاوية إليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ، ورجع شبيب فأغار على نواحي الرقّة[٢] ؛ فلم يدعْ للعثمانيّة بها ماشية إلّا استاقها ، ولا خيلاً ولا سلاحاً إلّا أخذه ، وعاد إلى نصيبين وكتب إلى عليّ .

فكتب إليه عليّ ينهاه عن أخذ أموال الناس إلّا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به ، وقال : رحم الله شبيباً ، لقد أبعد الغارة وعجّل الانتصار[٣] .

غارة بسر بن أرطاة

في تاريخ الطبري عن عوانة : أرسل معاوية بن أبي سفيان بعد تحكيم الحكمين بسر بن أبي أرطاة ـ وهو رجل من بني عامر بن لؤي ـ في جيش ، فساروا من الشام حتى قدموا المدينة ، وعامل عليّ على المدينة يومئذٍ أبو أيّوب الأنصاري ، ففرّ منهم أبو أيّوب ، فأتى عليّاً بالكوفة .

ودخل بُسر المدينة ، قال : فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد ، فنادى على

---

(١) بَعْلَبَك : مدينة قديمة من مدن لبنان ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام (معجم البلدان : ١ / ٤٥٣) .

(٢) الرَّقّة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام (معجم البلدان : ٣ / ٥٩) .

(٣) الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٢٨ ، أنساب الأشراف : ٣ / ٢٣١ ، الفتوح : ٤ / ٢٢٧ و ٢٢٨ كلاهما نحوه .

المنبر: يا دينار، ويا نجّار، ويا زريق، شيخي شيخي! عهدي به بالأمس، فأين هو! يعني عثمان.

ثمّ قال: يا أهل المدينة! والله، لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركت بها محتلماً إلّا قتلته، ثمّ بايع أهل المدينة.

وأرسل إلى بني سلمة، فقال: والله، ما لكم عندي من أمان، ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله.

فانطلق جابر إلى أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لها: ماذا ترَين؟ إنّي قد خشيت أن أُقتل، وهذه بيعة ضلالة.

قالت: أرى أنْ تُبايع؛ فإنّي قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يُبايع، وأمرت ختني عبد الله بن زمعة ـ وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله ابن زمعة فأتاه جابر فبايعه.

وهدم بُسر دوراً بالمدينة، ثمّ مضى حتى أتى مكّة، فخافه أبو موسى أن يقتله، فقال له بُسْر: ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، فخلّى عنه.

وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن: إنّ خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس، تقتل من أبى أن يقرّ بالحكومة.

ثمّ مضى بسر إلى اليمن، وكان عليها عبيد الله بن عبّاس عاملاً لعليّ، فلمّا بلغه مسيره فرّ إلى الكوفة حتى أتى عليّاً، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه، ولقي بُسْر ثَقَل[1] عبيد الله بن عبّاس، وفيه ابنان له صغيران فذبحهما.

وقد قال بعض الناس: إنّه وجد ابني عبيد الله بن عبّاس عند رجل من بني كنانة

---

(١) الثَّقَل: المتاع والحَشَم، وأصل الثَّقَلَ أنّ العرب تقول لكلّ شيء نَفيس خَطير مَصون ثَقَل (لسان العرب: ١١/ ٨٧ و ص ٨٨).

من أهل البادية ، فلمّا أراد قتلهما ، قال الكناني : عَلامَ تقتل هذين ولا ذنب لهما ! فإن كنت قاتلهما فاقتلني .

قال : أفعل ، فبدأ بالكنانيّ فقتله ، ثمّ قتلهما ، ثمّ رجع بسر إلى الشام .

وقد قيل : إنّ الكناني قاتل عن الطفلين حتى قُتل ، وكان اسم أحد الطفلين اللذين قتلهما بسر : عبد الرحمن ، والآخر قُثَم ، وقتلَ بُسْر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة عليّ باليمن .

وبلغ عليّاً خبر بسر ، فوجّه جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى أتى نجران فحرّق بها ، وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم ، وهرب بسر وأصحابه منه ، وأتبعهم حتى بلغ مكّة .

فقال لهم جارية : بايِعونا .

فقالوا : قد هلك أمير المؤمنين ، فلمن نبايع ؟ قال : لمن بايع له أصحاب عليّ ، فتثاقلوا ، ثمّ بايَعوا .

ثمّ سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّي بهم ، فهرب منه ، فقال جارية : والله ، لو أخذت أبا سنّور لضربت عنقه ، ثمّ قال لأهل المدينة : بايِعوا الحسن بن عليّ ، فبايعوه .

وأقام يومه ، ثمّ خرج منصرفاً إلى الكوفة ، وعاد أبو هريرة فصلّى بهم[1] .

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ١٣٩ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٣٠ ، البداية والنهاية : ٧ / ٣٢٢ وراجع أنساب الأشراف : ٣ / ٢١١ ـ ٢١٥ .

بين أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج

في تاريخ الطبري عن أبي رزين: لمّا وقع التحكيم ورجع عليّ من صفّين رجعوا مباينين له، فلمّا انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل عليّ في الناس الكوفة، ونزلوا بحروراء، فبعث إليهم عبد الله بن عبّاس، فرجع ولم يصنع شيئاً. فخرج إليهم عليّ فكلّمهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم، فدخلوا الكوفة.

فأتاه رجل فقال: إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رجعت لهم عن كفرك.

فخطب الناسَ في صلاة الظهر، فذكر أمرهم، فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حُكم إلّا لله.

واستقبله رجل منهم واضع إصبعيه في أُذنيه، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

فقال عليّ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[2][3].

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ عليّاً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوّا وهو خلفه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. فأنصتَ عليّ عليه السلام؛ تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية، ثمّ عاد في قراءته، ثمّ أعاد ابن الكوّا الآية، فأنصت عليّ عليه السلام أيضاً، ثمّ قرأ، فأعاد ابن الكوّا فأنصت عليّ عليه السلام، ثمّ قال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾،

---

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) الروم: ٦٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٣، البداية والنهاية: ٧ / ٢٨٥.

ثمّ أتمّ السورة ، ثمّ ركع[١] .

في مروج الذهب عن الصلت بن بهرام: لمّا قدم عليّ الكوفة جعلت الحروريّة تناديه وهو على المنبر: جزعتَ من البليّة ، ورضيتَ بالقضيّة ، وقبلتَ الدنيّة ، لا حكم إلّا لله . فيقول: حكم الله أنتظر فيكم .

فيقولون : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَـئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَـسِرِينَ﴾ .

فيقول عليّ : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَايَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَايُوقِنُونَ﴾[٢] .

في تاريخ الطبري عن كثير بن بهز الحضرمي: قام عليّ في الناس يخطبهم ذات يوم ، فقال رجل ـ من جانب المسجد ـ: لا حكم إلّا لله . فقام آخر فقال مثل ذلك ، ثمّ توالى عدّة رجال يحكّمون .

فقال عليّ : الله أكبر ، كلمة حقّ يلتمس بها باطل ! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا . ثمّ رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته[٣] .

في دعائم الإسلام: خطب [عليّ عليه السلام] بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال : لا حكم إلّا لله . فسكت عليّ ، ثمّ قام آخر وآخر ، فلمّا أكثروا عليه قال : كلمة حقّ

---

(١) تهذيب الأحكام: ٣ / ٣٥ / ١٢٧ عن معاوية بن وهب ، المناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ١١٣ من دون إسناد إلى المعصوم؛ المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٥٨ / ٤٧٠٤ ، السنن الكبرى: ٢ / ٣٤٨ / ٣٣٢٧ كلاهما عن أبي يحيى نحوه وليس فيهما «ابن الكوّاء» .

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٤٠٦ ، أنساب الأشراف: ٣ / ١٢٨ وراجع تاريخ الطبري: ٥ / ٧٣ والبداية والنهاية: ٧ / ٢٨٢ .

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٣ ، السنن الكبرى: ٨ / ٣١٩ / ١٦٧٦٣ عن كثير بن نمر ، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٨ ، البداية والنهاية: ٧ / ٢٨٢؛ الإيضاح: ٤٧٤ ، المناقب للكوفي: ٢ / ٣٤١ / ٨١٨ عن كثير بن نمر وكلّها نحوه وراجع البداية والنهاية: ٧ / ٢٨٥ .

يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به، وأشهد لقد أخبرني النبيّ الصادق عن الروح الأمين عن ربّ العالمين أنّه لا يخرج علينا منكم فرقة ـ قلّت أو كثرت إلى يوم القيامة ـ إلّا جعل الله حتفها على أيدينا، وأنّ أفضل الجهاد جهادكم، وأفضل الشهداء مَن قتلتموه، وأفضل المجاهدين من قتلكم؛ فاعملوا ما أنتم عاملون، فيوم القيامة يخسر المبطلون، و﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1][2].

في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي: إنّ عليّاً خرج ذات يوم يخطب، فإنّه لفي خطبته إذ حكّمت المحكّمة في جوانب المسجد، فقال عليّ: الله أكبر، كلمة حقّ يُراد بها باطل! إن سكتوا عمّمناهم، وإن تكلّموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم.

فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال: الحمد لله غير مودَّعٍ ربّنا، ولا مستغنىً عنه. اللهمّ، إنّا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة في ديننا؛ فإنّ إعطاء الدنيّة في الدين إدهان في أمر الله عزّ وجلّ، وذلّ راجع بأهله إلى سخط الله. يا عليّ، أبِالقتل تخوّفنا؟ أما والله، إنّي لأرجو أن نضربكم بها عمّا قليل غير مصفحات، ثمّ لتعلمنّ أيّنا أولى بها صليّاً. ثمّ خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم فأُصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأُصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة[3].

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ من كلام له في الخوارج لمّا سمع قولهم: لا حكم إلّا لله، كلمة حقّ يراد بها باطل! نعم، إنّه لا حكم إلّا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلّا لله، وإنّه لابدّ للناس من أمير؛ بَرٍّ أو فاجر؛ يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها

---

(١) الأنعام: ٦٧.

(٢) دعائم الإسلام: ١ / ٣٩٣ وراجع تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٦٣٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٨.

الكافر، ويبلّغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدوّ، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القويّ، حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر[١].

في نهج البلاغة: روي أنّه عليه السلام كان جالساً في أصحابه، فمرّت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هِيابها[٢]، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنّما هي امرأة كامرأته.

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله، كافراً ما أفقهه!

فوثب القوم ليقتلوه.

فقال عليه السلام: رويداً؛ إنّما هو سبٌّ بسبّ، أو عفوٌ عن ذنب[٣].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٥٨ / ٥٩٣ وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ١٣٥.

(٢) الهِبّة ـ بالكسر ـ: هياج الفحل، وهَبَّ التيس هِيابا: هاجَ ونَبّ للسّفاد (لسان العرب: ١ / ٧٧٨).

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٠، المناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ١١٣ وفيه «هناتها» بدل «هِيابها».

بعض جرائم الخوارج

في مسند ابن حنبل عن أيّوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثمّ فارقهم قال: دخلوا قرية، فخرج عبد الله بن خبّاب، ذعراً يجرّ رداءه، فقالوا: لم تُرَعْ؟ قال: والله لقد رعتموني!

قالوا: أنت عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ؟

قال: نعم. قالوا[1]: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدّثه عن رسول الله ﷺ تحدّثناه؟

قال: نعم، سمعته يحدّث عن رسول الله ﷺ أنّه ذكر فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. قال: فإن أدركتَ ذلك فكُن عبد الله المقتول ـ قال أيّوب: ولا أعلمه إلّا قال: ولا تكُن عبد الله القاتل ـ.

قالوا: أ أنت سمعت هذا من أبيك يحدّثه عن رسول الله ﷺ؟

قال: نعم.

قال: فقدّموه على ضفّة النهر، فضربوا عنقه، فسال دمه كأنّه شراك نعل ما ابذقرّ[2]، وبقروا أُمّ ولده عمّا في بطنها[3].

في تاريخ الطبري عن حميد بن هلال: إنّ الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت

---

(١) في المصدر: «قال»، والتصحيح من تاريخ الطبري.

(٢) ما ابذقرّ دمُه: ما تفرّق ولا تمذّر (لسان العرب: ٤ / ٥١).

(٣) مسند ابن حنبل: ٧ / ٤٥٢ / ٢١١٢١، تاريخ الطبري: ٥ / ٨١، الطبقات الكبرى: ٥ / ٢٤٥ وفيه «أيّوب بن حميد بن هلال»، مسند أبي يعلى: ٦ / ٣٧٤ / ٧١٨٠، أنساب الأشراف: ٣ / ١٤٣.

حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوف بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه، فتهدّدوه وأفزعوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض، وكان سقط عنه لمّا أفزعوه.

فقالوا له: أفزعناك؟

قال: نعم.

قالوا له: لا رَوع عليك، فحدّثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لعلّ الله ينفعنا به.

قال: حدّثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ فتنة تكون، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويُصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً.

فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟

فأثنى عليهما خيراً.

قالوا: ما تقول في عثمان، في أوّل خلافته وفي آخرها؟

قال: إنّه كان محقّاً في أوّلها وفي آخرها.

قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟

قال: إنّه أعلم بالله منكم، وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنّك تتّبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنّك قتلة ما قتلناها أحداً. فأخذوه فكتّفوه، ثمّ أقبلوا به وبامرأته وهي حُبلى متمّ[1]، حتى نزلوا تحت نخل مواقر، فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه، فقال أحدهم: بغير حلّها وبغير ثمن! فلفظها وألقاها من فمه. ثمّ أخذ

---

(١) أتمّت الحُبلى فهي مُتِمٌّ: إذا تمّت أيّام حملها (لسان العرب: ١٢/ ٦٨).

سيفه ؛ فأخذ يمينه فمرّ به خنزير لأهل الذمّة ، فضربه بسيفه ، فقالوا : هذا فساد في الأرض ! فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره .

فلمّا رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال : لئن كنتُم صادقين فيما أرى فما عليَّ منكم بأسٌ ، إنّي لمسلم ، ما أحدثتُ في الإسلام حَدَثاً ، ولقد أمّنتموني ؛ قلتم : لا رَوع عليك .

فجاؤوا به فأضجعوه ، فذبحوه ، وسال دمه في الماء . وأقبلوا إلى المرأة ، فقالت : أنّي إنّما أنا امرأة ، ألا تتّقون الله ! فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أُمّ سنان الصيداويّة[1] .

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٨١ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٣ ، أنساب الأشراف : ٣ / ١٤٢ عن أبي مجلز ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٦٧ كلاهما نحوه .

محاجة أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج

في نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام : أكُلّكم شهد معنا صفّين ؟

فقالوا : منّا من شهد، ومنّا من لم يشهد .

قال : فامتازوا فرقتين ؛ فليكن من شهد صفّين فرقة، ومن لم يشهدها فرقة، حتى أُكلّم كلًّا منكم بكلامه . ونادى الناس، فقال : أمسكوا عن الكلام، وأنصتوا لقولي، وأقبِلوا بأفئدتكم إليَّ، فمن نشدناه شهادة فليقُل بعلمه فيها .

ثمّ كلّمهم عليه السلام بكلام طويل، من جملته أن قال عليه السلام : ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكراً وخديعة : إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم، والتنفيس عنهم ؟

فقلت لكم : هذا أمر ظاهره إيمان، وباطنه عدوان، وأوّله رحمة، وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضّوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق ؛ إن أُجيبَ أضلّ، وإن تُرك ذلّ .

وقد كانت هذه الفَعلة، وقد رأيتُكم أعطيتُموها . والله لئن أبَيتُها ما وجبت عليَّ فريضتها، ولا حمّلني الله ذنبها . ووالله، إن جئتُها إنّي للمحقّ الذي يُتّبع، وإنّ الكتاب لمعي، ما فارقته مذ صحبته، فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ القتل ليدور على الآباء والأبناء، والإخوان والقرابات، فما نزداد على كلّ مصيبة وشدّة إلّا إيماناً، ومضيّاً على الحقّ، وتسليماً للأمر، وصبراً على مَضَض[1] الجراح .

---

(١) مَضَّني الجُرح : آلَمَني وأوجعني (لسان العرب : ٧/ ٢٣٣).

ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والإعوجاج، والشبهة والتأويل. فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقيّة فيما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عمّا سواها[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ من كلام له يكشف للخوارج الشبهة ـ: فإن أبيتم إلّا أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت، فلِمَ تُضلّلون عامّة أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتُكفّرونهم بذنوبي؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البُرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب! وقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني المحصن، ثمّ صلّى عليه، ثمّ ورّثه أهله، وقتل القاتل، وورّث ميراثه أهله، وقطع السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثمّ قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات؛ فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يُخرج أسماءهم من بين أهله.

ثمّ أنتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تِيهَه[2]! وسيهلك فيَّ صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، وخير الناس فيَّ حالاً النمط الأوسط، فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة، وإيّاكم والفرقة؛ فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب.

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه، فإنّما حكّم الحكمان ليُحييا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٢، الاحتجاج: ١ / ٤٣٩ / ١٠٠ وفيه من «ألم تقولوا...»، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٦٨ / ٦٠٠ وراجع الإرشاد: ١ / ٢٧٠.

(٢) ضرب في الأرض: أسرع وسار وأرض تيه: مظلّة أي يتيه فيها الإنسان (لسان العرب: ١ / ٥٤٤ وج ١٣ / ٤٨٢). يعني سلك بهم في ضلالة.

وإماتته الإفتراق عنه . فإن جرّنا القرآن إليهم اتّبعناهم ، وإن جرّهم إلينا اتّبعونا . فلم آتِ ـ لا أبا لكم ـ بُجْراً[١] ، ولا خَتَلتكم[٢] عن أمركم ، ولا لبّسته عليكم ، إنّما اجتمع رأي مِلْئكم على اختيار رجلين ، أخذنا عليهما ألّا يتعدّيا القرآن ، فتاها عنه ، وتركا الحقّ وهما يبصرانه ، وكان الجور هواهما فمضيا عليه . وقد سبق استثناؤنا عليهما ـ في الحكومة بالعدل ، والصمد للحقّ ـ سوءَ رأيهما ، وجورَ حكمهما[٣] .

في التوحيد عن الأصبغ بن نباتة : لمّا وقف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الخوارج ، ووعظهم ، وذكّرهم ، وحذّرهم القتال ، قال لهم : ما تنقمون منّي ؟ ألا إنّي أوّل من آمن بالله ورسوله ؟ !

فقالوا : أنت كذلك ، ولكنّك حكّمت في دين الله أبا موسى الأشعري .

فقال عليه السلام : والله ، ما حكّمت مخلوقاً ، وإنّما حكّمت القرآن ، ولولا أنّي غُلبت على أمري وخولفت في رأيي لما رضيتُ أن تضع الحرب أوزارها بيني وبين أهل حرب الله ، حتى أُعلي كلمة الله ، وأنصر دين الله ، ولو كره الكافرون والجاهلون[٤] .

في تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري : إنّ عليّاً قال لأهل النهر : يا هؤلاء ! إنّ أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أنّ القوم سألوكموها مكيدة ودهناً ، فأبيتم عليَّ إباء المخالفين ، وعدلتم عنّي عدول النكداء العاصين ، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشر أخفّاء الهام ، سفهاء الأحلام ، فلم آتِ ـ لا أبا لكم ـ حراماً .

والله ، ما خَبَلَتكم[٥] عن أموركم ، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم ، ولا

---

(١) البُجر : الداهية والأمر العظيم (النهاية : ١ / ٩٧) .

(٢) ختله : خدعه عن غفلة (لسان العرب : ١١ / ١٩٩) .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٧ .

(٤) التوحيد : ٢٢٥ / ٦ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٨١ / ٦١٠ .

(٥) خَبَلَه : أفسد عقلَه (لسان العرب : ١١ / ١٩٨) .

أوطأتكم عشوة[١]، ولا دنّيت لكم الضرّاء، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدواه، فتاها، وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما. وقد سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل والصدّ للحقّ سوءَ رأيهما، وجورَ حكمهما. والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ، وأتيا بما لا يعرف.

فبيّنوا لنا: بماذا تستحلّون قتالنا، والخروج من جماعتنا؟ إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم، ثمّ تستعرضوا الناس تضربون رقابهم، وتسفكون دماءهم! إنّ هذا لهو الخسران المبين. والله، لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلُها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام!

فتنادوا: لا تخاطبوهم، ولا تكلّموهم، وتهيؤوا للقاء الربّ، الرواح الرواح إلى الجنّة[٢].

في تاريخ الطبري عن زيد بن وهب: إنّ عليّاً أتى أهل النهر فوقف عليهم، فقال: أيّتها العصابة التي أخرجتها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمح بها النزق[٣]، وأصبحت في اللَّبس والخطب العظيم، إنّي نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم الأُمّة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط[٤]، بغير بيّنة من ربّكم، ولا برهان بيّن.

ألم تعلموا أنّي نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم

---

(١) أوطأني عَشْوةً: لَبَس عليَّ، والمعنى فيه: أنّه حمله على أن يركب أمراً غير مستبين الرشد، فربّما كان فيه عطبه (لسان العرب: ١٥ / ٥٩).

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٤؛ نهج البلاغة: الخطبة ١٧٧ وفيه من «فأجمع رأي ملئكم» إلى «وأتيا بما لا يعرف» وكلاهما نحوه.

(٣) النَّزَق: خِفّة في كلّ أمر وعجلة في جهل وحمق (لسان العرب: ١٠ / ٣٥٢).

(٤) الهِضم: ما تَطَمأنَ من الأرض، وجمعه أهضام، والغائط: المتّسع من الأرض مع طمأنينة (لسان العرب: ١٢ / ٦١٥، ٧ / ٣٦٤).

دهن ومكيدة لكم، ونبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنّي أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالاً ورجالاً، فهم أهل المكر والغدر، وأنّكم إن فارقتم رأيي جانبتُم الحزم! فعصيتموني، حتى أقررتُ بأن حكّمت.

فلمّا فعلت شرطت واستوثقت، فأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا، وخالفا حكم الكتاب والسنّة، فنبذنا أمرهما، ونحن على أمرنا الأوّل، فما الذي بكم؟ ومن أين أُتيتم؟

قالوا: إنّا حكّمنا، فلمّا حكّمنا أثمنا، وكنّا بذلك كافرين، وقد تُبنا، فإن تبتَ كما تبنا فنحن منك ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا؛ فإنّا منابذوك على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين.

فقال عليّ: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر! أبعدَ إيماني برسول الله صلى الله عليه وآله وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهدُ على نفسي بالكفر! لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين. ثمّ انصرف عنهم[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٤، الأخبار الطوال: ٢٠٧ نحوه وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٨٩.

بين أبي موسى الاشعري والإمام عليه السلام

في تاريخ الطبري عن محمّد وطلحة: خرج أبو موسى فلقي الحسن، فضمّه إليه وأقبل على عمّار، فقال: يا أبا اليقظان أعَدوتَ فيمن عدا على أمير المؤمنين؛ فأحللت نفسك مع الفجّار! فقال: لم أفعل ولِمَ تسوؤني؟ وقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال: يا أبا موسى! لِمَ تُثبّط الناس عنّا؟ فوَالله ما أردنا إلّا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يُخاف على شيء، فقال: صدقت بأبي أنت وأمّي، ولكنّ المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّها ستكون فتنة؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب، قد جعلنا الله عزّوجلّ إخواناً، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ... وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[1] وقال عزّوجلّ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[2].

فغضب عمّار وساءه وقام وقال: يا أيّها الناس! إنّما قال له خاصّة: «أنت فيها قاعداً خير منك قائماً»...

وقام أبو موسى فقال: أيّها الناس! أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب؛ يأوي إليكم المظلوم، ويأمن فيكم الخائف، إنّا أصحابَ محمّد ﷺ أعلم بما سمعنا، إنّ الفتنة إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت بيّنت، وإنّ هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور، فتسكن أحياناً فلا

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) النساء: ٩٣.

يُدرى من أين تؤتى ، تذر الحليم كابن أمس ، شيموا سيوفكم ، وقصّدوا رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم ، خلّوا قريشاً ـ إذا أبَوا إلّا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة ـ ترتق فتقها ، وتشعب صدعها ؛ فإن فعلت فلأنفسها سَعَت ، وإن أبت فعلى أنفسها مَنَت ، سمنُها تُهريق في أديمها[١] ، استنصحوني ولا تستغشّوني ، وأطيعوني يسلمْ لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة مَن جناها .

فقام زيد فشال يده المقطوعة[٢] ، فقال : يا عبد الله بن قيس ، رُدّ الفرات عن دِراجه[٣] ، اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست مدركه ، ثمّ قرأ : ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾[٤] ـ إلى آخر الآيتين ـ سيروا إلى أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ، وانفروا إليه أجمعين تُصيبوا الحقّ .

فقام القعقاع بن عمرو فقال : إنّي لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أُحبّ أن ترشدوا ، ولأقولنّ لكم قولاً هو الحقّ ؛ أمّا ما قال الأمير فهو الأمر لو أنّ إليه سبيلاً ، وأمّا ما قال زيد فزيدٌ في الأمر فلا تستَنْصِحوه ؛ فإنّه لا يتنزع أحدٌ من الفتنة طعن فيها وجرى إليها . والقول الذي هو القول إنّه لابدّ من إمارة تنظّم الناس ، وتزع الظالم ، وتُعزّ المظلوم ، وهذا عليّ يلي بما ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنّما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

---

(١) قال الميداني : سمنكُم هُريق في أديمكم : يُضرب للرجل ينفق ماله على نفسه ثمّ يريد أن يمتنّ به (مجمع الأمثال : ٢ / ١١٢ / ١٧٩٩) والأديم ـ هنا ـ هو طعامهم المأدوم .

(٢) قُطعت في معركة اليرموك .

(٣) قال الميداني : «مَن يردّ الفراتَ عن دِراجه» هو جمع دَرَج ؛ أي وجْهه الذي توجّه له . يعني أنّ الأمر خرج من يده وأنّ الناس عزموا على الخروج من الكوفة ، فهو لا يقدر أن يردّهم من فورهم هذا (مجمع الأمثال : ٣ / ٣٣٦ / ٤٠٩٤) .

(٤) العنكبوت : ١ و ٢ .

وقال سيحان: أيّها الناس! إنّه لابدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ؛ يدفع الظالم، ويُعزّ المظلوم، ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأُمّة، الفقيه في الدين؛ فمن نهض إليه فإنّا سائرون معه[١].

في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف: لمّا سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمّار قام فصعد المنبر، وقال: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد؛ فجمعنا بعد الفرقة، وجعلنا إخواناً متحابّين بعد العداوة، وحرّم علينا دماءنا وأموالنا، قال الله سبحانه: ﴿وَلَاتَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ فاتّقوا الله عباد الله، وضعوا أسلحتكم وكفّوا عن قتال إخوانكم.

أمّا بعد؛ يا أهل الكوفة! إن تطيعوا الله بادياً، وتطيعوني ثانياً تكونوا جُرثومة[٣] من جراثيم العرب، يأوي إليكم المضطرّ، ويأمن فيكم الخائف، إنّ عليّاً إنّما يستنفركم لجهاد أُمّكم عائشة وطلحة والزبير حواريّ رسول الله ومن معهم من المسلمين، وأنا أعلم بهذه الفتن؛ إنّها إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت أسفرت. إنّي أخاف عليكم أن يلتقي غارّان منكم فيقتتلا، ثمّ يُتركا كالأحلاس[٤] الملقاة بنجوة[٥] من الأرض، ثمّ يبقى رِجْرِجة[٦] من الناس لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٢، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٢٧، البداية والنهاية: ٧/ ٢٣٦ كلاهما نحوه.

(٢) البقرة: ١٨٨.

(٣) الجُرثومة: الأصل (النهاية: ١/ ٢٥٤).

(٤) الأحلاس: جمع حِلْس؛ وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القَتَب (النهاية: ١/ ٤٢٣).

(٥) النجوة: ما ارتفع من الأرض (لسان العرب: ١٥/ ٣٠٧).

(٦) الرِّجْرِجة ـ في الأصل ـ: بقيّة الماء الكَدِرة في الحوض المختلطة بالطين، فلا ينتفع بها. والمراد هنا: رُذالة الناس ورَعاعَهم الذين لاعقول لهم (انظر النهاية: ٢/ ١٩٨).

عن منكر، إنّها قد جاءتكم فتنة كافرة لا يُدرى من أين تؤتى! تترك الحليم حيران، كأنّي أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن فيقول: «أنت فيها نائماً خير منك قاعداً، وأنت فيها جالساً خيرٌ منك قائماً، وأنت فيها قائماً خير منك ساعياً». فثلّموا سيوفكم، وقصّفوا رماحكم، وانصلوا سهامكم، وقطّعوا أوتاركم، وخلّوا قريشاً ترتق فتقها وترأب صدعها؛ فإن فعلت فلأنفسها ما فعلت، وإن أبت فعلى أنفسها ما جنت، سمنُها في أديمها، استنصحوني ولا تستغشّوني، وأطيعوني ولا تعصوني، يتبيّنْ لكم رشدكم، ويصلى هذه الفتنة من جناها.

فقام إليه عمّار بن ياسر، فقال: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك؟ قال: نعم، هذه يدي بما قلت، فقال: إن كنت صادقاً فإنّما عناك بذلك وحدك، واتّخذ عليك الحجّة، فالزم بيتك ولا تدخلنّ في الفتنة، أما إنّي أشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر عليّاً بقتال الناكثين، وسمّى له فيهم من سمّى، وأمره بقتال القاسطين، وإن شئت لأُقيمنّ لك شهوداً يشهدون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما نهاك وحدك، وحذّرك من الدخول في الفتنة، ثمّ قال له: أعطني يدك على ما سمعت، فمدّ إليه يده، فقال له عمّار: غلب الله من غالبه وجاهده. ثمّ جذبه فنزل عن المنبر[1].

في تاريخ الطبري عن محمّد وطلحة: قام الحسن بن عليّ فقال: يا أيّها الناس! أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم؛ فإنّه سيُوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى أمثلُ في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتُلينا وابتُليتم.

فسامح الناس وأجابوا ورضوا به، وأتى قوم من طيّئ عديّاً فقالوا: ماذا ترى وما تأمر؟

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ١٤؛ الدرجات الرفيعة: ٢٦٥ وراجع الأخبار الطوال: ١٤٥ والجمل: ٢٤٧.

فقال : ننتظر ما يصنع الناس ، فأُخبر بقيام الحسن وكلام من تكلّم فقال : قد بايعْنا هذا الرجل ، وقد دعانا إلى جميل ، وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ، ونحن سائرون وناظرون .

وقام هند بن عمرو فقال : إنّ أمير المؤمنين قد دعانا ، وأرسل الينا رسله حتى جاءنا ابنه ، فاسمعوا إلى قوله ، وانتهوا إلى أمره ، وانفروا إلى أميركم ، فانظروا معه في هذا الأمر ، وأعينوه برأيكم .

وقام حجر بن عديّ فقال : أيّها الناس ! أجيبوا أمير المؤمنين ، وانفروا خفافاً وثقالاً ، مُرّوا أنا أوّلكم[1] .

محاربة أبي موسى

كان الإمام بحاجة إلى وجود جيش الكوفة إلى جانب سائر الجيش للتصدّي بحزم لحركة الناكثين ، إلّا أنّ تثبيط أبي موسى لأهالي الكوفة حال دون نهوضهم لنصرته . وكان مالك الأشتر قادراً على حلّ هذه العقدة ؛ إذ أنّه هو الذي اقترح على أمير المؤمنين عليه السلام إبقاءه في منصبه على ولاية الكوفة بعد أن كان الإمام قد هَمّ بعزله فيمن عزله من ولاة عثمان .

وتصرّح بعض الوثائق التاريخيّة بأنّ الإمام قال له : «أنت شفعت في أبي موسى أن أُقرّهُ على الكوفة ؛ فاذهب فأصلحْ ما أفسدت»[2] ، بيد أنّ الرواية التي أوردها نصر بن مزاحم تفيد أنّ الأشتر هو الذي عرض على الإمام فكرة المسير إلى الكوفة لمعالجة ما أفسده الأشعرى .

---

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٨٥ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٢٨ و ٣٢٩ نحوه .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٤١ / ٢٠ ؛ تاريخ الطبرى : ٤ / ٤٨٢ ، البداية والنهاية : ٧ / ٢٣٦ كلاهما نحوه .

في تاريخ الطبري عن نصر بن مزاحم: قد كان الأشتر قام إلى عليّ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد بعثت إلى أهل الكوفة رجلاً قبل هذين ، فلم أرَه أحكمَ شيئاً ولا قدر عليه ، وهذان أخلق من بعثت أن يُنشَب[1] بهم الأمر على ما تحبّ ، ولست أدري ما يكون ؛ فإن رأيت ـ أكرمك الله يا أمير المؤمنين ـ أن تبعثني في أثرهم ؛ فإنّ أهل المصر أحسن شيء لي طاعة ، وإن قدمت عليهم رجوت ألّا يخالفني منهم أحد . فقال له عليّ : إلحقْ بهم .

فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فجعل لا يمرّ بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلّا دعاهم ويقول : إتّبعوني إلى القصر ، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس ، فاقتحم القصر ، فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبّطهم ؛ يقول :

أيّها الناس ! إنّ هذه فتنة عمياء صمّاء تطأ خِطامها[2] ، النائم فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، والساعي فيها خير من الراكب . إنّها فتنة باقرة كداء البطن ، أتتكم من قِبَل مأمنكم ، تدع الحليم فيها حيران كابن أمس . إنّا معاشرَ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أعلم بالفتنة ؛ إنّها إذا أقبلت شبّهت ، وإذا أدبرت أسفرت .

وعمّار يخاطبه ، والحسن يقول له : إعتزل عملنا لا أُمّ لك ! وتنحَّ عن منبرنا . وقال له عمّار : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال أبو موسى : هذه يدي بما قلت .

فقال له عمّار : إنّما قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله هذا خاصّة ، فقال : «أنت فيها قاعداً

---

(١) نَشِب في الشيء : إذا وقع فيما لا مخلص له منه (النهاية : ٥ / ٥٢).

(٢) الخِطام : الحبل الذي يُقاد به البعير (النهاية : ٢ / ٥١) وقال المجلسي : الوطء في الخطام كناية عن نقد القائد وإذا خلت الناقة من القائد تعثر وتخبط وتفسد ما تمرّ عليه بقوائمها (بحار الأنوار : ٦٩ / ٢٣٤).

خير منك قائماً». ثمّ قال عمّار: غلب الله من غالبه وجاحده.

قال نصر بن مزاحم: حدّثنا عمر بن سعيد قال: حدّثني رجل عن نعيم عن أبي مريم الثقفي قال: والله إنّي لفي المسجد يومئذٍ وعمّار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول، إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدّون ينادون: يا أبا موسى! هذا الأشتر قد دخل القصر فضربَنا وأخرجنا. فنزل أبو موسى، فدخل القصر، فصاح به الأشتر: أُخرج من قصرنا لا أُمّ لك! أخرج الله نفسك! فوَالله إنّك لمن المنافقين قديماً. قال: أجّلني هذه العشيّة. فقال: هي لك، ولا تبيتنّ في القصر الليلة.

ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر وأخرجهم من القصر، وقال: إنّي قد أخرجته، فكفّ الناس عنه[1].

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٦؛ الجمل: ٢٥١ نحوه وراجع تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٢ والكامل في التاريخ: ٢/ ٣٢٩ وشرح نهج البلاغة: ١٤/ ٢١.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بلغه خبر الناكثين

في الجمل: ثمّ خرج في سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار، واستخلف على المدينة تمّام بن العبّاس، وبعث قُثَم بن العبّاس إلى مكّة، ولمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام التوجّهَ إلى المسير طالباً للقوم رَكب جملاً أحمر وقاد كُميتاً[١] وسار وهو يقول:

سيروا أبابيل وحثّوا السيرا ... كي نلحق التَّيميَّ والزبيرا

إذ جلبا الشرّ وعافا الخيرا ... يا ربّ أدخلهم غداً سعيرا

وسار مُجدّاً في السير حتى بلغ الربذة، فوجد القوم قد فاتوا، فنزل بها قليلاً ثمّ توجّه نحو البصرة، والمهاجرون والأنصار عن يمينه وشماله، محدقون به مع من سمع بمسيرهم، فاتّبعهم حتى نزل بذي قار فأقام بها[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ من خطبة له حين بلغه خبر الناكثين ببيعته ـ: ألا وإنّ الشيطان قد ذمّر[٣] حزبه، واستجلب جلبه؛ ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه، والله ما أنكروا عليَّ منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً.

وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه؛ فلئن كنت شريكهم فيه؛ فإنّ لهم لنصيبهم منه، ولئن كانوا وَلُوه دوني، فما التبعة إلّا عندهم، وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم، يرتضعون أُمّاً قد فَطَمَت، ويُحيُون بدعة قد أُميتت.

---

(١) الكُمَيت: أقوى الخيل (لسان العرب: ٢/ ٨١).

(٢) الجمل: ٢٤٠.

(٣) أي: حضّهم وشجّعهم (النهاية: ٢/ ١٦٧).

يا خيبة الداعي ! من دعا ! وإلامَ أُجيب ! وإنّي لراضٍ بحجّة الله عليهم ، وعلمه فيهم . فإن أبَوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من الباطل ، وناصراً للحقّ .

ومن العجب بعثهم إليّ أن أبرُز للطعان ! وأن أصبر للجلاد ! هبِلتهم الهَبول ! لقد كنت وما أُهدَّد بالحرب ، ولا أُرَهَّب بالضرب ! وإنّي لعلى يقين من ربّي ، وغير شبهة من ديني[١] .

عنه عليه السلام ـ في خطبته حين نهوضه إلى الجمل ـ : إنّي بُليت بأربعة : أدهى الناس وأسخاهم ؛ طلحة ، وأشجع الناس ؛ الزبير ، وأطوع الناس في الناس ؛ عائشة ، وأسرع الناس إلى فتنة ؛ يَعلى بن أُميّة .

والله ، ما أنكروا عليَّ شيئاً منكراً ، ولا استأثرتُ بمال ، ولا مِلتُ بهوىً ، وإنّهم ليطلبون حقّاً تركوه ، ودماً سفكوه ، ولقد ولّوه دوني ، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه .

وما تبعة عثمان إلّا عندهم ، وإنّهم لهم الفئة الباغية ؛ بايَعوني ونكثوا بيعتي ، وما استأنَوا بي حتى يعرفوا جوري من عدلي ، وإنّي لراضٍ بحجّة الله عليهم ، وعلمه فيهم ، وإنّي مع هٰذا لداعيهم ومعذر إليهم ؛ فإن قبلوا فالتوبة مقبولة ، والحقّ أولى ما انصُرف إليه ، وإن أبَوا أعطيتهم حدّ السيف ، وكفى به شافياً من باطل وناصراً[٢] .

عنه عليه السلام ـ من كلام له في معنى[٣] طلحة بن عبيد الله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله ـ : قد كنت وما أُهدَّد بالحرب ، ولا أُرَهَّب بالضرب ، وأنا

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢ ، عيون الحكم والمواعظ : ١١٠ / ٢٤٠١ وفيه إلى «لعلى أنفسهم» ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٥٣ / ٣٩ وراجع جواهر المطالب : ١ / ٣٢٤ .

(٢) الإستيعاب : ٢ / ٣١٨ / ١٢٨٩ عن صالح بن كيسان وعبد الملك بن نوفل بن مساحق والشعبي وابن أبي ليلى ، أُسد الغابة : ٣ / ٨٧ / ٢٦٢٧ .

(٣) معنى كلّ شيء : مِحْنته وحالُه التي يصير إليها أمرُه (لسان العرب : ١٥ / ١٠٦) .

على ما قد وعدني ربّي من النصر، والله ما استعجَلَ متجرّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يطالَب بدمه؛ لأنّه مَظِنّته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه؛ ليلتبس الأمر، ويقع الشكّ.

ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدةً من ثلاث: لئن كان ابن عفّان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن ينابذ ناصريه. ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المُنَهْنِهين[1] عنه، والمعذّرين فيه، ولئن كان في شكّ من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً، ويدع الناس معه. فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلَم معاذيره[2].

في الإرشاد: ولمّا اتّصل به مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة من مكّة حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: قد سارت عائشة وطلحة والزبير؛ كلّ واحد منهما يدّعي الخلافة دون صاحبه، لا يدّعي طلحة الخلافة إلّا أنّه ابن عمّ عائشة، ولا يدّعيها الزبير إلّا أنّه صهر أبيها، والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربَنّ الزبيرُ عنقَ طلحة، وليضربنّ طلحة عنق الزبير، ينازع هذا على الملك هذا، وقد ـ والله ـ علمتُ أنّها الراكبةُ الجملَ، لا تحلّ عقدة، ولا تَسير عقبةً، ولا تنزل منزلاً إلّا إلى معصية، حتى تورد نفسها ومن معها مورداً يُقتل ثلثهم، ويهرب ثلثهم، ويرجع ثلثهم، والله إنّ طلحة والزبير ليعلمان أنّهما مخطئان وما يجهلان، ولربّما عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه. والله لينبحنّها كلاب الحوأب، فهل يعتبر معتبر أو يتفكّر متفكّر، ثمّ قال: قد قامت الفئة الباغية؛ فأين المحسنون ؟[3]

في المستدرك على الصحيحين عن أبي الأسود الدؤلي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أتاني

---

(١) نهنهتُ عنه: منعه وكفّه عن الوصول إليه (النهاية: ٥ / ١٣٩).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٤، الأمالي للطوسي: ١٦٩ / ٢٨٤ نحوه.

(٣) الإرشاد: ١ / ٢٤٦، الكافئة: ١٩ / ١٩، بحار الأنوار: ٣٢ / ١١٣ / ٨٨؛ المعيار والموازنة: ٥٣.

عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغَرْز[١] وأنا أُريد العراق فقال: لا تأتِ[٢] العراق؛ فإنّك إن أتيته أصابك به ذباب السيف. قال عليّ: وآيم الله، لقد قالها لي رسول الله ﷺ قبلك. قال أبو الأسود: فقلت في نفسي، يا الله ما رأيت كاليوم رجل مُحارب يُحدّث الناس بمثل هذا[٣].

في تاريخ الطبري: بلغ عليّاً الخبر ـ وهو بالمدينة ـ باجتماعهم على الخروج إلى البصرة، وبالذي اجتمع عليه ملؤهم؛ طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم، وبلغه قول عائشة، وخرج عليّ يبادرهم في تعبيته التي كان تعبّى بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيّين والبصريّين متخفّفين في سبعمائة رجل، وهو يرجو أن يدركهم، فيحول بينهم وبين الخروج، فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال: يا أمير المؤمنين لا تخرج منها؛ فوَالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها، ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً، فسبّوه فقال: دعوا الرجل؛ فنعم الرجل من أصحاب محمّد ﷺ. وسار حتى انتهى إلى الرَّبَذة فبلغه ممرّهم، فأقام حين فاتوه يأتمر بالربَذة[٤].

..

(١) الغَرْز: رِكاب كور الجملِ إذا كان من جلد أوْ خشب (النهاية: ٣/ ٣٥٩).

(٢) في المصدر: «تأتي»، والصحيح ما أثبتناه.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٥١/ ٤٦٧٨، صحيح ابن حبّان: ١٥/ ١٢٧/ ٦٧٣٣، مسند أبي يعلى: ١/ ٢٥٩/ ٤٨٧.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٥٥ وراجع تاريخ ابن خلدون: ٢/ ٦١١.

أفضع جريمة في الكون

في الإرشاد عن عثمان بن المغيرة: لمّا دخل شهر رمضان كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعشّى ليلة عند الحسن وليلةً عند الحسين وليلةً عند عبد الله بن جعفر، وكان لا يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ليلةٍ من تلك الليالي في ذلك، فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميص[١]، إنّما هي ليلة أو ليلتان. فأُصيب عليه السلام في آخر الليل[٢].

في الإرشاد عن أُمّ موسى ـ خادمة عليّ عليه السلام وهي حاضنة فاطمة ابنته ـ: سمعت عليّاً عليه السلام يقول لابنته أُمّ كلثوم: يا بنيّة، إنّي أراني قلّ ما أصحبكم.

قالت: وكيف ذلك، يا أبتاه؟

قال: إنّي رأيت نبيّ الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: يا عليّ، لا عليك، قد قضيت ما عليك.

قالت: فما مكثنا إلّا ثلاثاً حتى ضُرب تلك الضربة، فصاحت أُمّ كلثوم فقال: يا بنيّة لا تفعلي، فإنّي أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إليّ بكفّه: يا عليّ، هلمّ إلينا، فإنّ ما

---

(١) رجل خَمِيص: إذا كان ضامِر البطن (النهاية: ٢ / ٨٠).

(٢) الإرشاد: ١ / ١٤ و ص ٣٢٠، كشف الغمّة: ٢ / ٦٠ وفيهما «ابن عبّاس» بدل «عبد الله بن جعفر»، الخرائج والجرائح: ١ / ٢٠١ / ٤١، المناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ٢٧١، إعلام الورى: ١ / ٣٠٩؛ الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٣٤ وفيه «أبي جعفر» بدل «عبد الله بن جعفر»، أُسد الغابة: ٤ / ١١١ / ٣٧٨٩، تاريخ دمشق: ٤٢ / ٥٥٥ وفيه «ابن عبّاس» بدل «عبد الله بن جعفر». والأصحّ «عبد الله بن جعفر» لأنّه زوج زينب بنت الإمام عليّ عليه السلام كما أشار إليه في المناقب لابن شهر آشوب وإعلام الورى.

عندنا هو خير لك[١].

قال الإمام الحسنعليه السلام : أتيته [عليّاً عليه السلام] سحراً فجلست إليه فقال : إنّي بتّ الليلة أوقظ أهلي ، فملكتني عيناي وأنا جالس فسنح لي رسول الله فقلت : يا رسول الله ، ما لقيت من أُمّتك من الأود[٢] واللدد[٣] ؟

فقال لي : ادعُ الله عليهم ، فقلت : اللهمّ أبدلني بهم خيراً لي منهم وأبدلهم شرّاً لهم منّي[٤].

قال الإمام الحسينعليه السلام : قال لي عليّ : سنح لي الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي ، فقلت : يا رسول الله ، ما لقيت من أُمّتك من الأود واللدد ؟

قال : ادعُ عليهم . قلت : اللهمّ أبدلني بهم من هو خير لي منهم ، وأبدلهم بي من هو شرّ منّي . فخرج ، فضربه الرجل[٥].

في مسند أبي يعلى عن أبي صالح عن أمير المؤمنين عليه السلام : رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه ما لقيت من أُمّته ، من الأود واللدد ، فبكيت فقال لي : لا تبكِ يا عليّ ، والتفت ، فالتفتّ فإذا رجلان يتصعّدان ، وإذا جلاميد يُرضخ بها رؤوسهما حتى تُفضخ[٦] ، ثمّ يرجع ـ أو قال : يعود ـ .

---

(١) الإرشاد : ١ / ١٥ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٣١١ ، روضة الواعظين : ١٥١ ؛ المناقب للخوارزمي : ٣٨٧ / ٤٠٢ وفيه إلى «قضيت ما عليك» .

(٢) الأود : المجهود والمشقّة (لسان العرب : ٣ / ٧٤) .

(٣) اللدد : الخصومة الشديدة (لسان العرب : ٣ / ٣٩١) .

(٤) الطبقات الكبرى : ٣ / ٣٦ ، أُسد الغابة : ٤ / ١١٣ / ٣٧٨٩ ، تاريخ دمشق : ٤٢ / ٥٥٩ كلاهما عن محمّد بن سعد ، أنساب الأشراف : ٣ / ٢٥٥ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٣٤ ، مقاتل الطالبيّين : ٥٣ عن أبي عبدالرحمن السلمي ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٨٠ والأربعة الأخيرة نحوه ؛ نهج البلاغة : الخطبة ٧٠ .

(٥) أُسد الغابة : ٤ / ١١٢ / ٣٧٨٩ عن أبي عبد الرحمن السلمي وفي آخره «كذا في هذه الرواية : الحسين بن عليّ ، وإنّما هو الحسن» .

(٦) فضخ رأسه : شدخه (لسان العرب : ٣ / ٤٥) .

قال : فغدوت إلى عليّ كما كنت أغدو عليه كلّ يوم ، حتى إذا كنت في الخرازين لقيت الناس فقالوا : قتل أمير المؤمنين[١] .

في الإرشاد عن الحسن البصري: سهر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الليلة التي قُتل في صبيحتها ، ولم يخرج إلى المسجد لصلاة الليل على عادته ، فقالت له ابنته أُمّ كلثوم ـ رحمة الله عليها ـ : ما هذا الذي قد أسهرك ؟ فقال : إنّي مقتول لو قد أصبحت .

وأتاه ابن النباح فآذنه بالصلاة ، فمشى غير بعيد ثمّ رجع ، فقالت له ابنته أُمّ كلثوم : مر جعدة فليصلّ بالناس . قال : نعم ، مروا جعدة فليصلّ . ثمّ قال : لا مفرّ من الأجل ، فخرج إلى المسجد[٢] .

في الإرشاد : روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سهر تلك الليلة ، فأكثر الخروج والنظر في السماء وهو يقول : والله ما كذبتُ ولا كُذِّبتُ ، وإنّها الليلة التي وُعِدتُ بها ، ثمّ يعاود مضجعه ، فلمّا طلع الفجر شدّ إزاره وخرج وهو يقول :

أُشدد حيازيمك للموت ... فإنّ الموت لا قيك

ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بواديك

فلمّا خرج إلى صحن الدار استقبلته الإوَزّ فصحن في وجهه ، فجعلوا يطردونهنّ فقال : «دعوهنّ فإنّهنّ نوائح» ، ثمّ خرج فأُصيب عليه السلام[٣] .

---

(١) مسند أبي يعلى : ١ / ٢٦٩ / ٥١٦ ؛ الإرشاد : ١ / ١٥ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٣١١ ، الخرائج والجرائح : ١ / ٢٣٣ / ٧٨ وفيهما إلى «رؤوسهما» ، إعلام الورى : ١ / ٣١٠ نحوه وفيها «مصفّدان» بدل «يتصعّدان» .

(٢) الإرشاد : ١ / ١٦ ، خصائص الأئمّة : ٦٣ نحوه ، روضة الواعظين : ١٥١ ، إعلام الورى : ١ / ٣١٠ ، شرح الأخبار : ٢ / ٤٣٠ / ٧٨٢ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٣١٠ كلاهما نحوه .

(٣) الإرشاد : ١ / ١٦ ، خصائص الأئمّة : ٦٣ نحوه ، روضة الواعظين : ١٥١ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٣١٠ ، إعلام الورى : ١ / ٣١١ وفيها «دعوهنّ فإنّهنّ صوائح تتبعها نوائح» ؛ مروج الذهب : ٢ / ٤٢٥ نحوه .

في فضائل الصحابة عن الحسن بن كثير عن أبيه: خرج عليّ إلى الفجر فأقبلن الوزّ يصِحنَ في وجهه فطردوهنّ عنه. فقال: ذروهنّ فإنّهن نوائح. فضربه ابن ملجم[١].

في أنساب الأشراف عن الحسن بن بزيع: إنّ عليّاً خرج الليلة التي ضرب في صبيحتها في السحر وهو يقول:

أُشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكَ

ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بواديكَ[٢]

في مروج الذهب: كان [عليّ عليه السلام] يكثر من ذكر هذين البيتين:

أُشدد حيازيمك للموت ... فإنّ الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بواديكا

وسُمعا منه في الوقت الذي قتل فيه، فإنّه قد خرج إلى المسجد، وقد عسر عليه فتح باب داره، وكان من جذوع النخل، فاقتلعه وجعله ناحية، وانحلّ إزاره، فشدّه وجعل ينشد هذين البيتين المتقدّمين[٣].

في الفتوح: جاء عليّ رحمه الله إلى باب دار مفتّحة ليخرج، فتعلّق الباب بمئزره فحلّ مئزره وهو يقول:

أُشدد حيازيمك للموت ... فإنّ الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت ... فقد حلّ بواديكا

---

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٥٦٠ / ٩٤٤، تاريخ دمشق: ٤٢ / ٥٥٥، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٣٤، أُسد الغابة: ٤ / ١١٢ / ٣٧٨٩، الفتوح: ٤ / ٢٧٧، البداية والنهاية: ٨ / ١٣ نحوه؛ الإرشاد: ١ / ١٧، روضة الواعظين: ١٥١، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣١٠ نحوه، إعلام الورى: ١ / ٣١١ وفي الثلاثة الأخيرة «فإنّهنّ صوائح تتبعها نوائح»، الخرائج والجرائح: ١ / ٢٠١ / ٤١ نحوه وراجع تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٢.

(٢) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٥٩، المصنّف لابن أبي شيبة: ٦ / ١٧٥ / ٢٨ عن هانئ، الكامل للمبرّد: ٣ / ١١٢١، الإمامة والسياسة: ١ / ١٨٣؛ خصائص الأئمّة:: ٦٣، إعلام الورى: ١ / ٣١١.

(٣) مروج الذهب: ٢ / ٤٢٩.

فـــقد أعـــرف أقـــواماً وإن كـــانوا صـــعاليكا
مـــصاريع إلى النـــجدة وللـــغيّ مـــتاريكا[١]

في بحار الأنوار عن أُمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام : لمّا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدّمت إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش ، فلمّا فرغ من صلاته أقبل على فطوره ، فلمّا نظر إليه وتأمّله حرّك رأسه وبكى بكاءً شديداً عالياً ، وقال : يا بنيّة ما ظننتُ أنّ بنتاً تسوء أباها كما قد أسأت أنت إليّ . قالت : وما ذا يا أباه ؟

قال : يا بنيّة أ تقدّمين إلى أبيك إدامين في فرد طبقٍ واحد ؟ أ تريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة ؟ ! أنا أُريد أن أتّبع أخي وابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما قدّم إليه إدامان في طبقٍ واحد إلى أن قبضه الله ، يا بنية ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلّا طال وقوفه بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة ، يا بنيّة إنّ الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب . . . يا بنية والله لا آكل شيئاً حتى ترفعين أحد الإدامين ، فلمّا رفعته تقدّم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش ، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قام إلى صلاته فصلّى ولم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرّعاً إلى الله سبحانه ، ويكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء وهو قلق يتململ . . . .

قالت : ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، ثمّ يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول : والله ما كذبت ولاكذِّبت ، وإنها الليلة التي وعدت بها ، ثمّ يعود إلى مصلّاه ويقول : اللهمّ بارك لي في الموت ، ويكثر من قول : إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلّا بالله

---

(١) الفتوح : ٤ / ٢٧٧ ؛ الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ عليه السلام : ٤٠٠ / ٣١٧ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٣١٠ كلاهما نحوه .

العليّ العظيم ويصلّي على النبيّ وآله ، ويستغفر الله كثيراً .

قالت : فلمّا رأيته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت : يا أبتاه ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد ؟ قال : يا بنية إنّ أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوف[1] ، وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ، ثمّ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقلت : يا أباه مالك تنعى نفسك منذ الليلة ؟ قال : يا بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل . قالت أُمّ كلثوم : فبكيت فقال لي : يا بنيّة لا تبكين فإنّي لم أقل ذلك إلّا بما عهد إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله .

ثمّ إنّه نعس وطوى ساعة ، ثمّ استيقظ من نومه وقال : يا بنيّة إذا قرب وقت الأذان فأعلميني . ثمّ رجع إلى ماكان عليه أوّل الليل من الصلاة والدعاء والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى .

قالت أُمّ كلثوم : فجعلت أرقب وقت الأذان ، فلمّا لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء ، ثمّ أيقظته ، فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ، ثمّ نزل إلى الدار وكان في الدار إوز قد أُهدي إلى أخي الحسين عليه السلام ، فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن وصحن في وجهه ، وكان قبل تلك الليلة لم يصحن . فقال عليه السلام : لا إله إلّا الله صوارخ تتبعها نوائح ، وفي غداة غد يظهر القضاء . فقلت له : يا أباه هكذا تتطيّر ؟

فقال : يا بنيّة ما منّا أهل البيت من يتطيّر ولا يتطيّر به ، ولكن قول جرى على لساني ، ثمّ قال : يا بنيّة بحقّي عليك إلّا ما أطلقتيه ، فقد حبست ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش ، فأطعميه وأسقيه وإلّا خلّي سبيله يأكل

---

(١) كذا في المصدر ، والصحيح : «وما دخل الخوفُ له جوفاً» ، أو «وما دخل الجوفَ له خوفٌ» .

من حشائش الأرض[١].

في تنبيه الخواطر عن إسماعيل بن عبد الله الصلعي: لما كثر الإختلاف بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل عثمان بن عفان تخوفت على نفسي الفتنة، فاعتزمت على اعتزال الناس، فتنحيت إلى ساحل البحر فأقمت فيه حيناً لا أدري ما فيه الناس معتزلاً لأهل الهجر والأرجاف، فخرجت من بيتي لبعض حوائجي وقد هدأ الليل ونام الناس، فإذا أنا برجل على ساحل البحر يناجي ربّه ويتضرّع إليه بصوت شجيّ وقلب حزين، فنضت[٢] إليه وأصغيت إليه من حيث لا يراني، فسمعته يقول:

يا حسن الصحبة، يا خليفة النبيّين، يا أرحم الراحمين، البدئ البديع ليس مثلك شيء، والدائم غير الغافل، والحيّ الذي لا يموت، أنت كل يوم في شأن، أنت خليفة محمّد وناصر محمّد ومفضل محمّد، أنت الذي أسألك أن تنصر وصي محمّد وخليفة محمّد والقائم بالقسط بعد محمّد، إعطف عليه بنصر أو توفّاه برحمة.

قال: ثمّ رفع رأسه وقعد مقدار التشهد، ثمّ إنّه سلم فيما أحسب تلقاء وجهه، ثمّ مضى فمشى على الماء، فناديته من خلفه: كلّمني يرحمك الله، فلم يلتفت وقال: الهادي خلفك فاسأله عن أمر دينك. فقلت: من هو يرحمك الله؟

فقال: وصي محمّد من بعده، فخرجت متوجهاً إلى الكوفة فأمسيت دونها، فبتّ قريباً من الحيرة، فلما أجنّني الليل إذا أنا برجل قد أقبل حتى استتر برابية، ثمّ صفّ قدميه فأطال المناجاة، وكان فيما قال:

---

(١) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٧٦، قال العلّامة المجلسي في أوّل هذا النقل: «رأينا في بعض الكتب القديمة رواية في كيفيّة شهادته عليه السلام؛ أوردنا منه شيئاً ممّا يناسب كتابنا هذا على وجه الاختصار» وهو نقل طويل، أخذنا منه قبسات متفرّقة في بيان شهادة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) كذا في المصدر ولعلّه تصحيف: «أنصتُّ».

اللهمّ إنّي سرت فيهم ما أمرني رسولك وصفيّك فظلموني، فقتلتُ المنافقين كما أمرتني فجهلوني. وقد مللتّهم وملّوني وأبغضتُهم وأبغضوني، ولم تبق خلّة أنتظرها إلّا المرادي، اللهمّ فعجّل له الشقاوة وتغمّدني بالسعادة، اللهمّ قد وعدتني نبيّك أن تتوفّاني إليك إذا سألتك، اللهمّ وقد رغبتُ إليك في ذلك، ثمّ مضى، فقفوته فدخل منزله، فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: فلم ألبث إذ نادى المنادي بالصلاة، فخرج واتّبعته حتى دخل المسجد فعمّمه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ بالسيف[1].

قال الإمام الحسن عليه السلام: دخل ابن النباح [المؤذّن] عليه [عليّ عليه السلام] فقال: الصلاة. فأخذت بيده، فقام ومشى ابن النباح بين يديه ومشيت خلفه، فلمّا خرج من الباب نادى: أيّها الناس الصلاة، الصلاة ـ وكذلك كان يصنع في كلّ يوم، ويخرج ومعه درّته يوقظ الناس ـ فاعترضه الرجلان، فرأيت بَريق السيف وسمعت قائلاً يقول: الحكم يا عليّ لله لا لك. ثمّ رأيت سيفاً ثانياً؛ فأمّا سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، وأمّا سيف ابن بجرة فوقع في الطاق. وقال عليّ: لا يفوتنّكم الرجل[2].

في الإرشاد: كان حجر بن عدي في تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحَك الصبح، فأحسّ حجر بما أراد الأشعث، فقال له: قتلته يا أعور. وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام فيخبره الخبر ويحذّره من القوم، وخالفه أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد، فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف، وأقبل حجر والناس يقولون:

---

(١) تنبيه الخواطر: ٢ / ٢، بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٥٢ / ٥٤.

(٢) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٥٥، الطبقات الكبرى: ٣ / ٣٦، تاريخ دمشق: ٤٢ / ٥٥٩، أُسد الغابة: ٤ / ١١٣ / ٣٧٨٩ وفيه «ابن التيّاح».

قُتل أمير المؤمنين . قُتل أمير المؤمنين[١] .

في مروج الذهب : كان عليّ يخرج كلّ غداة أوّل الأذان يوقظ الناس للصلاة ، وقد كان ابن ملجم مرّ بالأشعث وهو في المسجد ، فقال له : فضحك الصبح ، فسمعها حِجر بن عدي ، فقال : قتلته يا أعور قتلك الله . وخرج عليّ رضي الله عنه ينادي : أيّها الناس ، الصلاة .

فشدّ عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون : الحكم لله ، لا لك ، وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه ، وأمّا شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب ، وأمّا مجاشع بن وردان فهرب ، وقال عليّ : لا يفوتنّكم الرجل .

وشدّ الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ، ويتناولونه ويصيحون ، فضرب ساقه رجل من همدان برجله ، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب وجهه فصرعه ، وأقبل به إلى الحسن[٢] .

في تاريخ اليعقوبي : وضربه [ابن ملجم] على رأسه ، فسقط وصاح : خذوه ، فابتدره الناس ، فجعل لا يقرب منه أحد إلّا نفحه بسيفه ، فبادر إليه قثم بن العبّاس ، فاحتمله وضرب به الأرض ، فصاح : يا عليّ ، نحّ عنّي كلبك ، وأتى به إلى عليّ ، فقال : ابن ملجم ؟ قال : نعم . فقال : يا حسن شأنك بخصمك ، فأشبع بطنه ، واشدد وثاقه ، فإن متّ فألحقه بي أُخاصمه عند ربّي ، وإن عشتُ فعفو أو قصاص[٣] .

---

(١) الإرشاد : ١ / ١٩ ، روضة الواعظين : ١٤٩ ، إعلام الورى : ١ / ٣٩٠ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٣١٢ نحوه .

(٢) مروج الذهب : ٢ / ٤٢٤ ، الطبقات الكبرى : ٣ / ٣٦ و ٣٧ ، أنساب الأشراف : ٣ / ٢٥٣ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٣٥ ، أُسد الغابة : ٤ / ١١٣ / ٣٧٨٩ عن محمّد بن سعد ، المناقب للخوارزمي : ٣٨٣ / ٤٠١ عن إسماعيل بن راشد وكلّها نحوه .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢١٢ .

في بحار الأنوار عن لوط بن يحيى عن أشياخه: فلمّا أحسّ الإمام بالضرب لم يتأوّه وصبر واحتسب، ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلاً: بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله، ثمّ صاح وقال: قتلني ابن ملجم قتلني اللعين ابن اليهوديّة وربِّ الكعبة، أيّها الناس لا يفوتنّكم ابن ملجم....

فلمّا سمع الناس الضجّة ثار إليه كلّ من كان في المسجد، وصاروا يدورون ولا يدرون أين يذهبون من شدّة الصدمة والدهشة، ثمّ أحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يشدّ رأسه بمئزره، والدم يجري على وجهه ولحيته، وقد خضبت بدمائه وهو يقول: هذا ما وعد اللهُ ورسولُه وصدق اللهُ ورسولُه....

فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره، وقد غسل الدم عنه وشدّ الضربة وهي بعدها تشخب دماً، ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة، وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبّح الله ويوحّده، وهو يقول: أسألك يا ربّ الرفيع الأعلى فأخذ الحسن عليه السلام رأسه في حجره فوجده مغشياً عليه، فعندها بكى بكاءً شديداً وجعل يقبل وجه أبيه وما بين عينيه وموضع سجوده، فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين عليه السلام، ففتح عينيه فرآه باكياً، فقال له: يا بني ياحسن ما هذا البكاء؟ يا بني لاروع على أبيك بعد اليوم، هذا جدّك محمّد المصطفى وخديجة وفاطمة والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، فطب نفساً وقر عيناً، واكفف عن البكاء فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء، يا بني أتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً؟ ويقتل أخوك بالسيف هكذا، وتلحقان بجدّكما وأبيكما وأمّكما[1].

في تاريخ الطبري عن محمّد ابن الحنفيّة: كنتُ والله إنّي لأُصلّي تلك الليلة التي ضرب فيها عليّ في المسجد الأعظم، في رجال كثير من أهل المصر، يصلّون

---

(١) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٨١.

قريباً من السدّة، ما هم إلّا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أوّل الليل إلى آخره، إذ خرج عليٌّ لصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيّها الناس، الصلاة، الصلاة، فما أدري أخرج من السدّة فتكلّم بهذه الكلمات أم لا! فنظرتُ إلى بريق، وسمعتُ: الحكم لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثمّ رأيت ثانياً، ثمّ سمعت عليّاً يقول: لا يفوتنّكم الرجل. وشدّ الناس عليه من كلّ جانب.

قال: فلم أبرح حتى أُخذ ابن ملجم وأُدخل على عليّ، فدخلتُ فيمن دخل من الناس، فسمعتُ عليّاً يقول: النفس بالنفس، إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيتُ رأيت فيه رأيي[1].

في فضائل الصحابة عن الليث بن سعد: إنّ عبد الرحمن بن ملجم ضرب عليّاً في صلاة الصبح على دهس[2] بسيف كان سمّه بالسمّ[3].

في عمدة الطالب: خرج [عليّ عليه السلام] فلمّا دخل المسجد أقبل ينادي: الصلاة الصلاة، فشدّ عليه ابن ملجم ـ لعنة الله عليه ـ فضربه على رأسه بالسيف، فوقعت ضربته في موضع الضربة التي ضربه إيّاها عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق[4].

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: لمّا ضرب ابن ملجم ـ لعنه الله ـ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان معه آخر فوقعتْ ضربتهُ على الحائط، وأمّا ابن ملجم فضربه فوقعت الضربة وهو ساجد على رأسه على الضربة التي كانت،

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ١٤٦، المعجم الكبير: ١ / ٩٩ / ١٦٨، تهذيب الآثار (مسند عليّ بن أبي طالب): ٧٥ / ١٣٧ كلاهما عن محمّد بن حنيف، المناقب للخوارزمي: ٣٨٣ / ٤٠١، مقاتل الطالبيّين: ٤٨ عن عبد الله بن محمّد الأزدي؛ الإرشاد: ١ / ٢٠ عن محمّد بن عبد الله بن محمّد الأزدي وكلاهما نحوه، كشف الغمّة: ٢ / ٥٦.

(٢) الدَّهسُ: ما سُهل ولانَ من الأرض (النهاية: ٢ / ١٤٥).

(٣) فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢ / ٥٥٨ / ٩٤٠، تاريخ دمشق: ٤٢ / ٥٥٧، الرياض النضرة: ٣ / ٢٣٦ وفيهما «دهش» بدل «دهس».

(٤) عمدة الطالب: ٦١، بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٨١.

فخرج الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وأخذا ابن ملجم وأوثقاه، واحتمل أمير المؤمنين فأُدخل داره، فقعدت لبابة عند رأسه وجلست أُمّ كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال: الرفيق الأعلى خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً، ضربة بضربة أو العفو إن كان ذلك، ثمّ عرق، ثمّ أفاق فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرني بالرواح إليه عشاءً ثلاث مرّات[١].

في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام عن عمران بن ميثم عن أبيه: إنّ عليّاً خرج إلى صلاة الصبح فكبّر في الصلاة ثمّ قرأ من سورة الأنبياء إحدى عشرة آية، ثمّ ضربه ابن ملجم من الصفّ على قرنه[٢].

في مقتل أمير المؤمنين عن عمر بن عبد الرحمن بن نفيع بن جعدة بن هبيرة: إنّه لمّا ضرب ابن ملجم عليّاً عليه السلام وهو في الصلاة تأخّر فدفع في ظهر جعدة بن هبيرة فصلّى بالناس[٣].

في بحار الأنوار عن لوط بن يحيى عن أشياخه عن محمّد ابن الحنفيّة: إنّ أبي عليه السلام قال: إحملوني إلى موضع مصلّاي في منزلي. قال: فحملناه إليه وهو مدنف والناس حوله، وهم في أمر عظيم باكين محزونين، قد أشرفوا على الهلاك من شدّة البكاء والنحيب[٤].

في المناقب لابن شهر آشوب عن محمّد بن عبد الله الأزدي: أقبل أمير المؤمنين ينادي: الصلاة، الصلاة، فإذا هو مضروب، وسمعتُ قائلاً يقول: الحكم لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك، وسمعت عليّاً يقول: فزتُ وربِّ الكعبة، ثمّ يقول: لا

---

(١) الأمالي للطوسي: ٣٦٥ / ٧٦٨ عن عليّ بن عليّ بن رزين بن عثمان عن الإمام الرضا عن آبائه:، بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٠٥ / ٩.

(٢) مقتل أمير المؤمنين: ٣٠ / ٥.

(٣) مقتل أمير المؤمنين: ٣٠ / ٦.

(٤) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٨٨.

يفوتنّكم الرجل[١].

في الإمامة والسياسة عن المدائني: لمّا كان اليوم الذي تواعدوا فيه خرج عدوّ الله ، فقعد لعليّ حين خرج عليّ لصلاة الصبح ، صبيحة نهار الجمعة ، ليلة عشر بقيت من رمضان سنة أربعين ، فلمّا خرج للصلاة وثب عليه وقال : الحكم لله لا لك يا عليّ ، وضربه على قرنه بالسيف .

فقال عليّ : فزتُ وربِّ الكعبة . ثمّ قال : لا يفوتنّكم الرجل . فشدّ الناس عليه ، فأخذوه[٢].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٣١٢ عن محمّد بن حنيف ؛ الإستيعاب : ٣ / ٢١٩ / ١٨٧٥ نحوه .
(٢) الإمامة والسياسة : ١ / ١٨٠ .

فهرس المحتويات

أمير المؤمنين عليه السلام في عهد عثمان ٣
قصة الشورى ٣
علم أمير المؤمنين عليه السلام بلعبة الشورى ١٥
رأي أمير المؤمنين عليه السلام بالأمر ١٧
إنزعاج أمير المؤمنين مما حصل ٢٠
عهد حكومة أمير المؤمنين عليه السلام ٢٢
رأي أمير المؤمنين بالحكومة ٢٢
متى قبل أمير المؤمنين عليه السلام بالحكومة ٢٥
صعوبة المجتمع في عهد أمير المؤمنين ٢٧
بيعة الناس له عليه السلام ٣١
أوّل المبايعين ٣٣
بيعة المسجد ٣٦
ذكر من أنكر البيعة ٣٩
عهد أميرالمؤمنين عليه السلام مع معاوية ٤٩
جرأة معاوية ٤٩
بيان أمير المؤمنين لحقيقة معاوية ٥٥
استغلال معاوية لدم عثمان ٥٨
توضيح الحال بمقتل عثمان ٦٣

بيان اعتداءات معاوية ٧٠
بين أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج ٨٣
بعض جرائم الخوارج ٨٧
محاجة أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج ٩٠
بين أبي موسى الاشعري والإمام عليه السلام ٩٥
محاربة أبي موسى ٩٩
كلام أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بلغه خبر الناكثين ١٠٢
أفضع جريمة في الكون ١٠٦